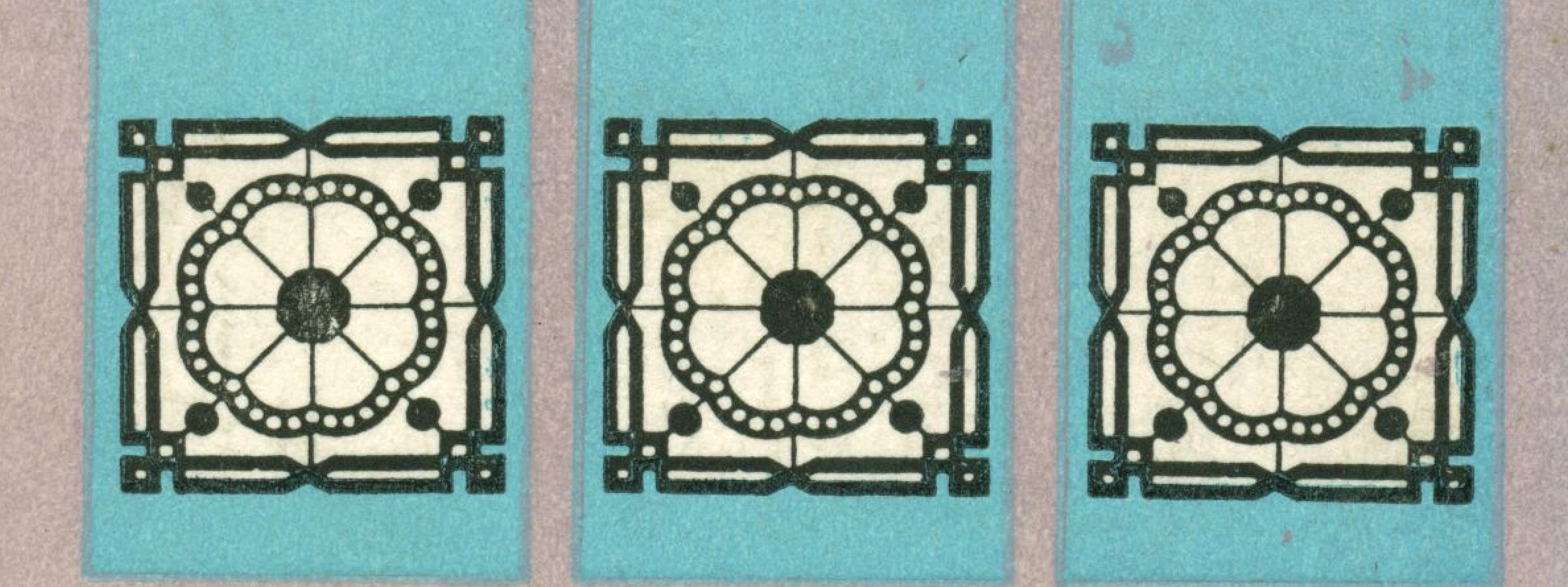


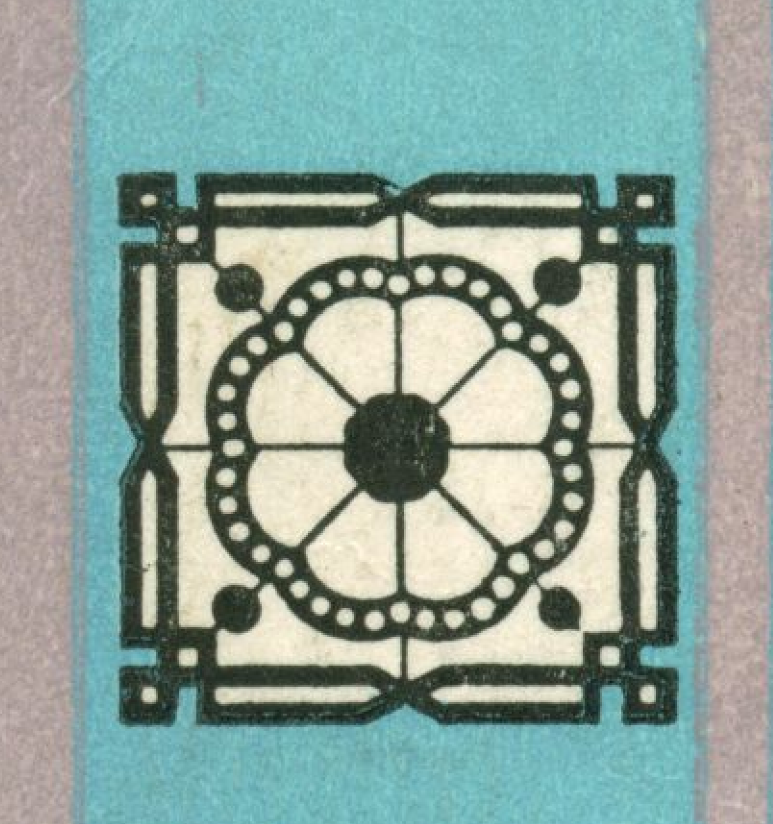
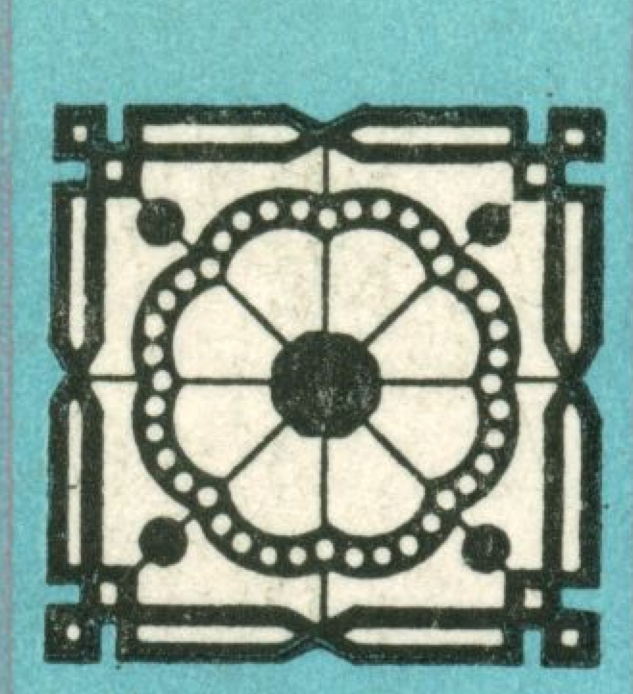
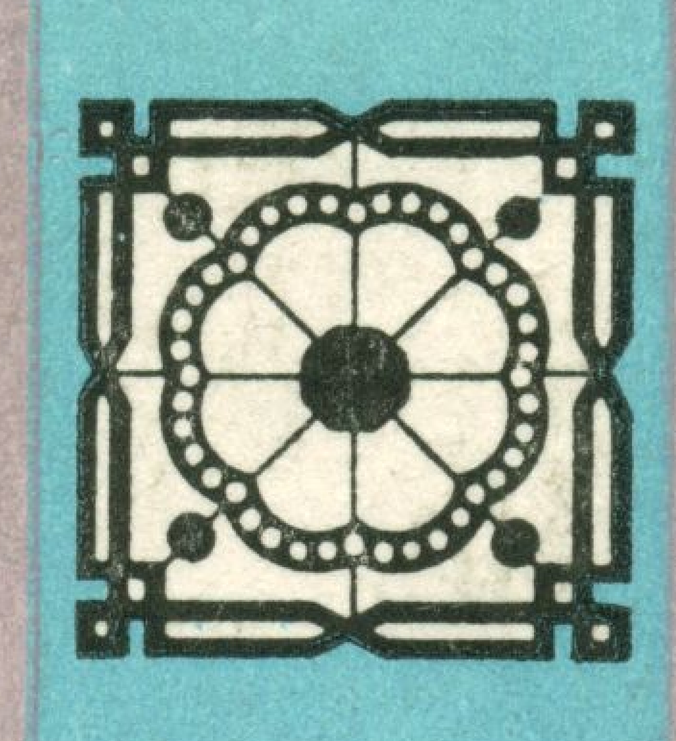
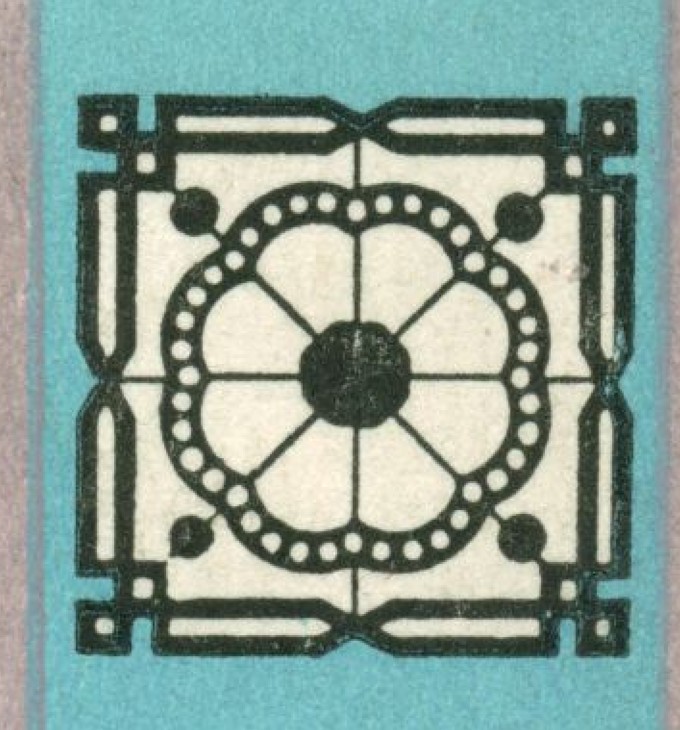
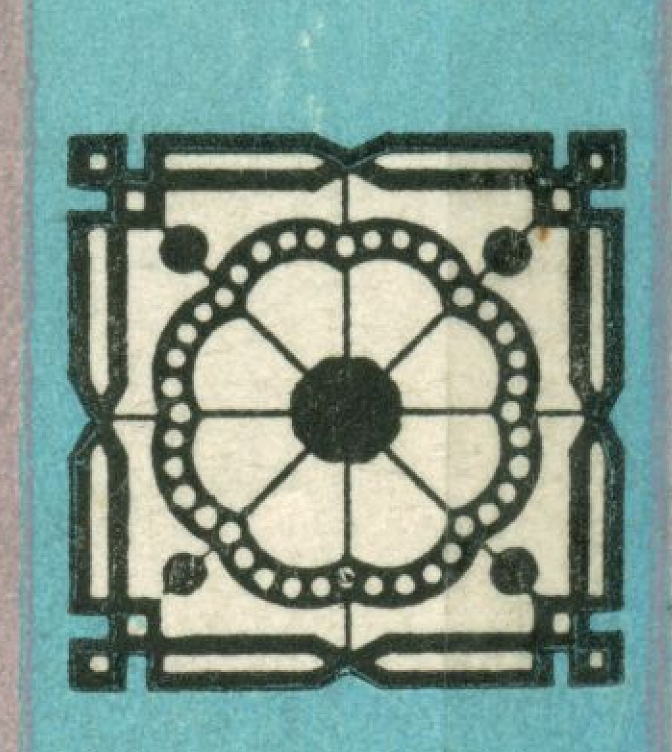
التثليث في المرآة

تأليف

مولانا كوثر نيازي

وزير الإعلام والنشر والحج والأوقاف

بالباكستان

التثليث فى المرآة

تأليف

مولانا كوثر نيازى
وزير الإعلام والنشر والحج والأوقاف
بالباكستان



مولانا كوثر نيازى
وزير الاعلام والنشر والحج والأوقاف
بالباكستان

مولانا كوثر نيازى

حياته وسيرته

ولد الموصوف فى واحد وعشرين من أبريل سنة ١٩٣٦ م وهو الآن فى الثامن والثلاثين من عمره ولكنه قطع شوطا طويلا فى العلم والخبرة حيث يحيط على القرون وذلك بسبب جهوده الجبارة فى هذا السبيل .

وكان الموصوف فى بدايةمن حياته العلمية وهو اصطدم بارتباكات الحياة الشديدة واطرابات الحوادث الزمنية ولكنه كان صميما فى إرادته حيث منحه الله القدير صبر أيوب وعزيمة الاسكندر فتمشى مبتسما مع تلك الحوادث فى طريقه ورحب العواصف المظلمة دائماً بتصور المستقبل المشرق .

وبهذا الثبات والصمود تغلب على المشاكل فى كل ميدان من ميادين الحياة وقاد زملاء فى حياته العلمية بعد التفرغ والتحصيل أوصلته خطواته السريعة المباركة إلى منصة القيادة والتدبير .

هو ارتفع من الشعب ولا ينسى فى حين من الأحيان أنه من الشعب — واليوم حيث هو الوزير المسئول والموقر للحكومة الشعبية فهو ذاكر للأيام الماضية المرة حينما ألبسه أحد أبناء الحكام قيودا وسلاسل جزاء لكلمة الحق .

ولما انتخبه الشعب للبرلمان من مقاطعة سيالكوت بسبع وتسعين ألف صوت فى انتخابات سنة ١٩٦٠ م فهو لم ينس خلواته المستوحشة التى ألقت شوارع لاهور المعمورة فى ذيله — حينما ورد جديدا فى هذه البلدة سنة ٥١-٥٢ .

وأشعة ماضيه العفيف تنعكس عليه ليرى وجهه فى مرآة الماضى ويتشرف ويطمئن لما قام من جهود وجهاد فيه .

وهو أول صحفى من منطقة بنجاب الذى أخرج جريدة « شهاب » الأسبوعيه وأوصله فى قمة وأوج من ناحية النشر والعدد فى تاريخ الصحف

والجرائد الأسبوعية فى هذه المنطقة وضرب مثلا فى كثرة الأرقام حتى ما استطاع أحد أن يتعدى هذا الحد إلى اليوم .

وهو خطيب الباكستان المتحمس الذى أوقد لسانه نيران الخطابة ونثر قلمه أنوار العلم والفكر والعرفان ولكن لهيب كلامه وقلمه كانت عند الشعب مثابة أزهار ورياحين بينما كان النظام الحاكم الاستحصالى يتصورها جمرات من النار المحرقة .

فكان الموصوف مجاهدا فى الماضى وهو مجاهد فى الوقت وكان الجهاد مسلكه فى الأيام التى مضت وهو المقصود والمطلوب والمنتهى لديه إلى الأبد .

بسم الله الرحمن الرحيم

التثليث فى المـــرآة .

كتاب علمى تاريخى يحتوى على بحوث قيمة تكشف عن حقيقة المنظمات المسيحية التبشيرية التى تعمل فى قلب البلاد الإسلامية لمحاولة ترغيب المسلمين الغافلين عن دينهم وترغيبهم فى الديانة المسيحية وتنفيرهم من عقيدة الإسلام ودفعهم إلى طريق الضلال والشرك بالله .

بقلم العلامة الجليل مولانا كوثر نيازى
وزير الاعلام والحج والأوقاف الباكستانى للحكومة المركزية
ترجمه من الأوردية الاستاذ عبد الرحمن ناصر المدنى
وراجعه الدكتور عبد العزيز عزت عبد الجليــل

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

يطيب لى أن أبدأ كلمتى هذه بآية من كتاب الله عز وجل « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

ثم أحمده تعالى دعا إلى التوحيد وصلى على نبيه وفضله على جميع أنبيائه ورسله وسائر خلقه .

لقد أسعدنى مولانا كوثر نيازى وزير الاعلام والنشر والحج والأوقاف المركزى بجمهورية باكستان الإسلامية الشقيقة عندما أسند الى القيام بمراجعة ترجمة هذا الكتاب « التثليث فى المرآة » من اللغة الأردية إلى العربية ، فلقد استمتعت حقا عندما أخذت أقرأ الكتاب وعشت لحظات ممتعة فى صحبته فلا شك أنه كان زادا للفكر وغذاء للروح .

والحقيقة أن هذا الكتاب يملأ جانبا فى المكتبة العربية هى فى حاجة إليه ويسد نقصا تفتقر إليه وسائل الدعوة الإسلامية هذه الأيام بشدة فهو لكل مسلم جرعة جديدة من الايمان ولغيره هدى ومنار نحو اليقين والعرفان .

ولا شك أن إصدار هذه الترجمة العربية لهذا الكتاب عمل موفق وجهد يستحق التقدير فهو ينطوى على مجموعة من الحقائق الهامة التى تتطلب المزيد من الاهتمام وتجذب الفكر بعيدا ليصل الأرض بالسماء يستشف النور الذى يهديه وينتشله من مهاوى الشرك ويحفظه من سموم المشركين الذين يحاولون اطفاء نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وهـذا المؤلف كذلك حوار مع العقـل ما أحوج المـرء المتعطش إلى المعرفة والثقافة الدينية إليه يلتمس عنده أول ما يلتمس تحريك الفكر ،

فالكتب الجيدة كلها تحرك العقل إذا أحسنت قراءتها ، ومما رواه الجاحظ فى كتابه الحيوان من قول أبى إسحاق أن الكتب لا تحيى الموتى ولا تحول الأحمق عاقلا ولا البليد ذكيا ولكن الطبيعة إذا كان فيها أدنى قول فالكتب تشحذ وتفتق وترهف وتشفى .

ولا أنسى فى ختام هذه الكلمة أن أنوه بالمجهود الضخم والعمل الجـاد الذى بذله وقام به مترجم الكتاب الأستاذ عبد الرحمن ناصر المدنى ، فقد كان أمينا على كل كلمة فيه واستطاع أن يبرز المعانى لقربه من مادة الكتاب وروح مصنفه فى عبارات عربية سهلة وأسلوب جذل بلغة العصر بعيدا عن التكلف والعقم وبذلك مهد للقارئ العربى أن يطلع على واحدة من ثمار الفكر جاء بها واحد من أعلام النهضة الإسلامية فى باكستان الشقيقة .

والله أسأل أن يهدينا وينفع به . .

عبد العزيز عزت عبد الجليل

٩/١٢/١٩٧٣ م

فهرس الكتاب

المقدمة

لقد صنفت هذا الكتاب « التثليث فى المرآة » قبل بضع سنوات ، وأحب أن أؤكد للقارئ أن موضوعه ليس ببحث نظرى أو مناظرة جدلية ، أو مقارنة بين الأديان ، كما أنه لا ينبغى لأحد أن يتجاوز به فهمه أو يشطح به فكره فيعطيه أهمية أكثر من كونه مطالعة دينية حول أديان العالم لطالب علم ، لاسيما وأننى لا أنتمى إلى تلك المدرسة التى تقصر الحياة على المناظرة بين المذاهب والأديان ومقارنة بعضها ببعض ، ومن ناحية أخرى فى رأيى أن جميع مظاهر الكون ومباهج الحياة يرجع جمالها إلى تنوعها الطبيعى وكذلك الفكر الإنسانى فى تنوعه واختلاف لونه وثمره وينعه .

وإذا كانت صور الأشقاء من أب وأم واحدة لا يلزم أن تتشابه وتتساوى فكذلك أفكار الإنسان تختلف من شخص لآخر وان اتحدت مصادر ثقافتهم ومنابع معارفهم ، ولا شك أن اختلاف الأفكار بين بنى البشر نعمة كبرى من نعم الله تعالى إذا استفاد بها الإنسان وأفاد أخاه ولم يتخذ من ذلك وسيلة للفساد وذريعة للتدمير .

انه لا مانع من قيام الكنائس بجوار المساجد فى ظل الهدوء والتعقل وعلى أساس ألا يجير أحدهما على الآخر أو يجار عليه ، كل له مقدساته وعقائده وينبغى أن يعيش الجميع فى جو يسوده الاخاء والمحبة والسلام .

ومما يدعو إلى الفخر أن الإسلام بصدقه وكماله وموقفه المرموق عبر التاريخ لاسيما أيام كان هو القوة المسيطرة التى تحكم أغلب بقاع المعمورة ، كان يسمح بإقامة الكنيسة بجوار المسجد جنبا إلى جنب لا يفصل بينهما سوى حاجز دقيق وفى الوقت نفسه كان يكفل لها الحرية والاحترام والتقديس . وهذه حقيقة ثابتة راسخة كجبال الهملايا فقد وعاها التاريخ تماما وبدقة وراقبها

بعيونه لا أياما معدودات ولا أسابيع وشهورا بل خمسا وسبعين[1] سنة متوالية .

ويروى كثير من المؤرخين من بينهم الطبرى والمدائنى والبلاذرى وابن كثير وابن خلدون أن الجيش الإسلامى عندما فتح نصف دمشق بالسيف واستولى على نصفها الآخر صلحا التقى الجيش المتقدم من كلا الطرفين أمام كنيسة يوحنا الشهيرة والتى كان أهل الشام وملوك الروم يعتبرونها منذ القرن الثالث الميلادى من أعظم كنائسهم ، وكان المسيحيون يتوقعون أن تقتحم جحافل الجيش الإسلامى ساحة الكنيسة بجيادهم ، ولكن الذى حدث أن خالد بن الوليد قائد الجيش وحامل لواء دين الحق الذى ينادى بالسلام واحترام كافة الأديان ، شد حزام فرسه عند وصوله إلى أبواب الكنيسة ونزل واستشار أصحابه فى شأن هذه الكنيسة .

ويقرر التاريخ أن بعض المطلعين من أهل دمشق قد تناولوا بالبيـــان والتوضيح تاريخ هذه الكنيسة تفصيلا حرفا حرفا وكان مما ذكروه لخالد أن هذه الكنيسة أقيمت مكان معبد يونانى قديم كان مقدسا عندهم وأن قسطنطين عندما استولى على عرش الروم وقام بدعوة محمومة للمسيحية هدم ذلك المعبد وأقام تلك الكنيسة مكانه وأطلق عليها اسم[2] كنيسة يوحنا .

وكان فى إمكان خالد بن الوليد أن يحول الكنيسة إلى مسجد تأسيا بقسطنطين ولـكنه لم يفعل ذلك ولم يعتبر ذلك سببا أو سندا مجوزا ووضع نصب عينيه وصية أبى بكر رضى الله عنه « ان قاتلوكم فقاتلوهم وان حملوا عليكم السلاح فعليكم بمثله وان صالحوكم وجنحوا للسلم فلهم الأمان على أموالهم وأنفسهم » .

وهكذا دلل خالد بن الوليد بالبرهان العملى على مقدار تسامح المسلمين ومدى احترامهم لمختلف الأديان والعقائد .

ولا شك أن الوضع فى دمشق كان مثيرا فنصفها تدور رحى الحرب على كل شبر فيه وتتشابك السيوف وتتبادل الرماح والحراب ونصفها الآخر اختار

---

(١) تاريخ ابن عساكر — ج أول ص ٢١٣ ، وابن كثير — ج ٩ ص ١٤٢
(٢) تاريخ ابن عساكر — ج ١ ص ٢١٣ ، ابن كثير ج ٩ ص ١٤٢

أهله الصلح بعد أن أظهروا العجز أمام شدة بأس حملة خالد ، فطلبوا من أبى عبيدة بن الجراح الذى كان موكلا على الباب الغربى الأمان وألقوا السلاح .

وكان جيش خالد جميعه مصرا على أن دمشق كلها فتحت عنوة وأن الصلح الذى طلبه المسيحيون إنما كان لعجزهم وخوفهم أمام سيوف المسلمين وشدة بأسهم ، وبناء على ذلك فينبغى أن تحول الكنيسة كلها إلى مسجد . ولكن أخذا بمبادئ الإسلام ومعايير العدل التى أرسى قواعدها محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك خالد وإنما مد خيطا يفصل بين نصفها الشرقى ونصفها الغربى وجعل القسم الشرقى مسجدا والغربى[1] كنيسة على اعتبار أن النصف الشرقى فتح بالسلاح والغربى صلحا . واستمر الحال على هذه الصورة مدة خمس وسبعين سنة حتى أبرمت معاهدة جديدة بين المسلمين والمسيحيين فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك . وظل المسلمون والمسيحيون يؤدون عباداتهم وشعائر[2] دينهم فى حرية .

وليست هذه الواقعة قاصرة على دمشق فقط ، وإنما حدث مثلها فى قرطبة عندما دخلها المسلمون فاتحين فإنهم لم يحولوا أكبر كنائسها إلى مسجد وإنما اكتفوا بشطرها نصفين أحدهما للمسلمين[3] والآخر للمسيحيين .

أنا لا أقول بأن السلام والأمن العالميين يوجبان علينا أن نطبق هذه الطريقة على كل الكنائس والمساجد ، لأن إنسان العصر قد شق طرقا عديدة لتأمين هذه الغاية ، ولا حرج فى الوقت نفسه من تجربة ذلك بطريقة ودية فى كل من الكنيسة والمسجد ، وعليه أن يؤمن إيمانا عميقا بأن الكنائس والمساجد ما أنشئت الا لكى توفر للإنسان العزة والكرامة ولتزيده إيمانا بالتسامح والمحبة ولم تنشأ أبداً لبث روح الخلاف . ان الكنيسة التى لا تؤدى دورها فى تربية الإنسان والسمو به لا تعتبر كنيسة فى الحقيقة ، والمسجد الذى يقوم على أساس التخريب وإراقة الدماء هو كذلك ليس بمسجد . فالكنيسة الحقيقية

(١) ابن كثير ج ٩ ص ١٤٣ ، السيوطى حسن المحاضرة ص ٤٠٧ ، ابن جبير ص ٢٦٢ .
(٢) ابن شاكر ج ٢ ص ٤١٣ ، حسن المحاضرة ص ٤٠٧ .
(٣) البيان المغرب ج ٢ ص ١٩ ، المقرى ص ٢٥٥

هى التى تروى شجرة الإنسانية بالفضيلة والمسجد الحقيقى هو الذى يسكن القلوب المضطربة ويقدم للإنسانية راحة وأمنا . وفى نظرى أن الكنيسة لها الحق فى رفع صوتها والإعلان عن رسالتها كيفما تشاء وللمسجد حق وحرية الافصاح عن عصمته وجلال رسالته على أن يراعى كل من الكنيسة والمسجد الحدود التى رسمتها الإنسانية حولهما . كما يحق لكل منهما أن يعرض وجهة نظره على الآخر وينصب المرآة أمام صاحبه ليرى حقيقة أمره .

وقد ألفت هذا الكتاب فى دائرة استعمال هذا الحق ودفعنا إليه النشاط المريب من جانب المبشرين المسيحيين وأنصار الكنيسة منذ ربع قرن فى باكستان للدعوة النصرانية بصورة تتنافى مع أبسط قواعد العدل والأخلاق .

وقد كشفت فى هذا الكتاب النقاب عن الوجه الحقيقى للمسيحية ونصبت المرآة أمام عيون المبشرين الذين لايراعون حقوق المساجد ويسعون سعيا حثيثا فى سبيل استقطاب فريق من السذج وضعاف الإيمان إلى نجاح المسيح ويمهدون طريق الغواية والضلال أمامهم فيقعون فى ظلمات شراكهم التى لا يوجد فيها بصيص من نور . وحاشا وكلا أن أقصد بهذا احراج الطائفة المسيحية المسالمة فى باكستان اننا نقدرهم ونقرر أن لهم الحرية الكاملة فى تكييف حياتهم داخل دائرة معتقداتهم على قدم المساواة مع المسلمين الباكستانيين .

كوثر نيـــازى

الباب الاول

النسب

يعمد كاتبو التاريخ عند الكتابة عن أى قائد أو حاكم أو شخصية جليلة أن يبدأوا دائما بذكر نسبه وأصوله ، وكذلك اتبع مؤرخو سيرة خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فبدأوا بذكر نسبه الشريف وجعلوه قسمين الأول يبدأ من سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وينتهى إلى عدنان وهو الجد العشرون من سلسلة النسب الطيب ، وقد اتفق أهل السيرة جميعا على هذا القسم ، وفى كتاب الاستيعاب بالنسبة لذلك « هذا ما لم يختلف فيه[1] أحد من الناس » .

أما القسم الثانى من نسب الرسول عليه الصلاة والسلام فيبدأ من عدنان إلى أن يصل إلى سيدنا اسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ، وقد اختلف أهل السيرة فى هذا القسم ، وممن وافق عليه ابن اسحق وابن جرير والإمام السخاوى . وذهب الفريق الآخر إلى أن ذكر هذا القسم من النسب مكروه . ومهما يكن من أمر فإن بعض المحققين قد بذلوا جهدا كبيرا فى الوصول بالنسب الشريف إلى سيدنا اسماعيل عليه السلام .

وعلى كل حال فإن القسم الأول من سلسلة نسب الرسول عليه الصلاة والسلام والتى تضمنت اثنين وعشرين من آبائه وأجداده بأسمائهم مع تفصيل أمكنتهم والحالة التى كانوا عليها ، ولا زالت هذه الأنساب محفوظة فى صدور التاريخ حتى يومنا هذا .

وعلى العكس من ذلك إذا حاولنا البحث فى الأناجيل عن نسب سيدنا المسيح عليه السلام سوف نعجز وسرعان ما يتملكنا اليأس ، ذلك لأن مرقس

---

(١) كتاب الاستيعاب الجزء الأول .

ويوحنا لم يذكرا شيئا عن نسب المسيح ورأوا أن ذلك ليس ضروريا ، وقد حاول متى ولوقا النص على شيء من هذا الأمر ولكنهما مع الأسف الشديد لم يذكرا الا نذرا يسيرا من أجداده فقط دون ذكر شيء عن أحوال حياتهم ، ولم يكن يصعب عليهما أن يذكرا بعض أجداد المسيح عليه السلام بالتفصيل . فقد ورد فى انجيل متى تحت عنوان « نسب يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم » ، فنجده قد قفز من المسيح عليه السلام إلى داود ومن داود إلى إبراهيم عليهما السلام ، والحال أن بين المسيح عليه السلام وداود عليه السلام ستة وعشرين أبا وجدا ، ثم بين داود وإبراهيم عليهما السلام اثنى عشر جدا . ولكن انجيل متى حذف كل هذه السلسلة وانتهى من النسب إلى القول بأنه « تولد يوسف من يعقوب وهو كان زوجا لمريم التى تولد منها يسوع » . ومن هذه الفقرة يتضح أن انجيل متى يقرر أن يوسف كان زوجا لمريم ولكن يسوع المسيح لم يكن ابنا ليوسف وإنما هو ابن مريم وحدها ونخرج من ذلك إلى حقيقة ثابتة وهى أن النسب الذى ذكره انجيل متى ليسوع المسيح لا يصدق إلا إذا ثبت أن المسيح هو ابن يوسف وأن يوسف كان من أولاد داود ، ولكن انجيل متى نفى ذلك بذكره أن المسيح كان ابنا لمريم ولم يأت من يوسف .

ولا أدرى إلى أى مستند يستند أصحاب الأناجيل حين ينسبون المسيح عليه السلام إلى يوسف وكان الأولى بانجيل متى أن ينسب المسيح عليه السلام إلى السيدة مريم ثم يذكر نسب مريم عليها السلام بعد ذلك حتى يأتى كلامه بعيدا عن التناقض اللفظى وليكون متمشيا مع المنطق .

ونأتى بعد ذلك إلى انجيل لوقا الذى أورد فى اصحاحه الثالث الفقرات من الثالثة والعشرين إلى الثامنة والثلاثين « ولما ابتدأ يسوع كان له ثلاثون سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالى » . فياللعجب للتناقض بين كاتبى الأناجيل فلقد وقع لوقا فى نفس الخطأ الذى وقع فيه متى ، بل انه اختلف معه فى تحديد جد المسيح عليه السلام ، إذ قال انه (هالى) فى حين قال متى انه يعقوب ، والذى لا شك فيه أن أحد الاسمين خطأ ، ولكن الغريب حقا أن يختلف إنجيلان حتى فى تحديد اسم جد المسيح عليه السلام . فليتفكر أولو الألبـــاب .

وإذا كان ما ذكرناه آنفا عن نسب المسيح عليه السلام هو ما ورد فى الأناجيل المسيحية ، فلنبحث بالتالى عن جهود من يعدهم المسيحيون من منكرى عظمة المسيح عليه السلام .

ذكر علماء المسلمين أن نسب عيسى عليه السلام يأتى عن طريق أمه مريم ، وقد اتفقوا جميعا على أن أم مريم هى حنة وأبوها هو عمران وكلاهما من سلالة سليمان عليه السلام . وقد ذكر ابن اسحق صاحب المغازى نسب سيدنا عمران فقال « عمران بن ياشم بن يشا بن حزقيـا بن إبراهيم بن عزرياء ابن نادش بن آجر بن يهوا بن نازم بن متاســط بن إيشا بن أياز بن رخيعم ابن سليمان بن داود عليه السلام » .

الباب الثانى

ولادة المسيح عليه السلام

إن قصة ولادة المسيح عليه السلام ذات أهمية بالغة عند المسيحيين ، وذلك لأنها تمثل المحور الرئيسى فى عقيدتهم من أن المسيح ابن الله ونظراً لدقة هذا الموضوع وحساسيته ، فإننى سوف أبسط الحديث عنه حتى يستطيع القارئ أن يصل إلى المقصود بيسر وتتضح له الحقيقة هل كان عيسى عليه السلام ابن الله حقيقة ؟ أو أن لفظ « ابن الله » الذى ورد فى الأناجيل قد استخدم استخداما مجازيا للإشارة إلى خلاف ما يزعمه المسيحيون .

إن قصة ولادة عيسى عليه السلام قد وردت فى كل من القرآن الكريم والأناجيل بصورة مختلفة ، ونبدأ هنا بذكر ما ورد فى القرآن الحكيم . يقول الله عز وجل فى سورة مريم ، الآيات من ١٦ — ٢٢ : « واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ، قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ، قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا ، فحملته فانتبذت به مكانا قصيا » .

وتفيد هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى قد خلق عيسى عليه السلام بدون أب ليجعله آية من آياته ، فحينما جاء الملك بالبشرى لمريم بمقدم المولود ، ردت عليه متعجبة مستنكرة كيف يكون لها ولد وهى ليست بمتزوجة ولا ببغى ، فرد عليها الملك بأن الله عز وجل قادر على كل شئ وأنه سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون .

وقد بنى النصارى على هذه الولادة النادرة عقائد غريبة عن شخصية المسيح عليه السلام . وقد رد عليهم القرآن الكريم بقوله « إن مثل عيسى عند

الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » . فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق عيسى بغير أب وجعله النصارى ابنا لله ، فما رأيهم فى آدم وقد خلقه الله بغير أب ولا أم ؟

وإذا نظرنا إلى تاريخ الحضارة اليونانية القديمة التى سادت قبل بعثة المسيح نجد أنهم كانوا يؤمنون بأن قديسيهم وكثيرا من مفكريهم إنما هم أبناء الله ، وكان أساس هذا الاعتقاد لديهم أنهم ولدوا بغير أب ولا أم . وقد اعتنق النصارى تلك العقيدة بعد اليونانيين ، ولكنهم نسوا أو تناسوا أنه ليس بالعسير على الله جلت قدرته أن يأتينا بالمعجزات لكى نؤمن به وبقدرته على الخلق كما يشاء فهو على كل شئ قدير .

وقد ذكر الكاتب الانجليزى الشهير « دراير » فى كتابه — التعارض بين المذهب والعلم — Conflict Between Religion and Science قصة ولادة الحكيم اليونانى أفلاطون ، فقال انه ولد بالعاصمة أثينا سنة تسع وعشرين قبل ميلاد المسيح ، وكانت أمه « باركشين » مخطوبة لرجل يدعى « آرس » ، وقبل أن يتم الزواج وجدت باركشين حبلى من « أبولو » إله الطب عند اليونانيين ، وقد رأى آرس فى منامه أبولو يتهدده ويقول له « لا تقربن خطيبتك لأن فى أحشائها ابنا لى وعليك أن تكرم فيه روح أبولو المقدسة ، ولهذا السبب اعتقد تلاميذ أفلاطون فى مصر بأنه ابن الله .

وقد كان قسطنطين حاكم اليونان يؤمن هو الآخر بأن أبولو هو إله الشمس وأن أفلاطون ابن الله ، ولما استنصر قسطنطين وجعل النصرانية دينا رسميا للدولة ، راح يروج أن عيسى ابن الله .

وكان أهل اليونان والروم يعتقدون أيضا بأن « هركيلوس » ليس من نسل آدم بل انه ابن قديس يدعى « ذيوس » وكانوا يعتبرونه نائبا لروح القدس .

وهناك قصة أخرى اشتهرت لدى اليونانيين ، فحواها أن القديس « باتر » نفخ بروحه فى ابنة « كيداس » حاكم « نيبس » وتدعى « سميلى » فحملت منه

وضعت القديس « كاس » و يسميه الفلاسفة اليونانيون كاس إله الخمر ، وحرفها الإنجليز فاطلقوا على مدمن الخمر باللغة الانجليزية « بكانالين » .

وذكر الكاتب « درابر » فى كتابه سابق الذكر أنه كانت هناك عذراء تدعى « سكويا » وهبها الله ابنا من عنده بواسطة الروح القدس سمته « روملس» وهو الذى أنشأ مدينة روما ولذلك سميت على اسمه .

كما سجل المؤرخ الغربى الشهير « جين » فى كتابه — سقوط وزوال دولة روما — بأن زوجة الاسكندر الأكبر وهى ابنة ملك دارا كانت أمها الروح القدس عند اليونانيين .

ولد « فيثاغورس » قبل ظهور المسيح بخمسمائة وخمس وسبعين سنة ، وقد اعتقد أهل اليونان فى ذلك الوقت بأنه ابن الله لأنه جاء بغير أب . والمقصود هنا من ذكر هذه الأسئلة جميعها هو الاستشهاد بالتاريخ القديم لإثبات أن ولادة المسيح عليه السلام لم تكن الأولى من نوعها فى تاريخ المعتقدات الدينية ، بل طالما توهم أهل اليونان فى كثيرين من حكامهم وملوكهم وعقلائهم أنهم أبناء الله ، لذلك لم يكن غريبا أن يؤمن النصارى بأن المسيح عليه السلام هو الآخر ابن الله .

وقد نشرت الصحف التى تصدر فى باكستان باللغة الإنجليزية قبل وقت قريب نقلا عن مجلة «ذى لانست « The Lancet »وهى مجلة طبية تصدر فى بريطانيا بأن عذراء انجليزية وضعت بنتا دون أن يمسها رجل ، وقام بفحص الفتاة مجموعة من الأطباء والأخصائيين فى الولادة للتحقق من ادعائها ، وبعد أن قاموا باجراء الكشف عليها وفحصها فحصا فنيا دقيقا وتحليل دمها ودم المولودة قدموا تقريرا فى النهاية يقر بصحة ما ادعته الفتاة وبأنها لازالت عذراء لم يمسسها رجل . ونورد فيما يلى نص الخبر بالانجليزية وترجمته العربية :

LONDON — 29th June 1956 — The weekly professional medical journal «THE LANCET» published details on friday of the first undisputable case of part hemogenesis or virgin birth in Britain. The review published the case of a young woman whose name was not revealed, who claimed her daughter was the re-

sult of a virgin birth. A team of doctors studied the case and wroe «THE LANCET» after applying very known scientific test that the doctors were unable to contradict the mother's claim. One test revealed the bloods of mother and daughter were identical. The organic build up of the mother was also the same as that of the daughter in every detail said THE LANCET. (APP)

« لندن فى ٢٩ من يونيو ١٩٥٦ — نشرت مجلة المهن الطبية الأسبوعية (ذى لانست) تفاصيل عن أغرب ولادة حدثت يوم الجمعة الماضى والأولى من نوعها فى بريطانيا ، ومفادها أن عذراء إنجليزية لم تذكر المجلة اسمها ادعت بأنها حملت ووضعت بنتا دون أن يعاشرها أى رجل . وقد قام بفحص الفتاة مجموعة من الأطباء والأخصائيين ثم قرروا أنهم لم يتمكنوا من تحقيق الواقعة أو تحليل أسبابها ، وقد ثبت لديهم أن دم الأم من نفس فصيلة دم المولودة وكذلك تركيبهما الجسمانى متجانس فى كل تفاصيله » .

ويتضح من هذه الواقعة إذا ثبتت صحتها أن الله سبحانه وتعالى قادر على خلق أى كائن حى بلا أب ولا أم ، فقد خلق الله الملائكة بدون أب أو أم وكذلك خلق آدم عليه السلام ومن آدم خلق حواء ، كذلك خلق الله ملايين الكائنات من الحيوانات والحشرات والأسماك ، فكيف نتعجب إذا خلق نبيا بدون أب ليجعله آية من آياته ، وكيف يقال انه ابن الله ؟

وذكر « لوقا » فى الاصحاح الأول من انجيله ، الفقرات من السادسة والعشرين إلى الخامسة والثلاثين :

« وأرسل جبريل ملك من الله إلى مدينة فى الجليل اسمها ناصرة ، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم ، فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها ، الرب معك ، مباركة أنت فى النساء ، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية ، فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ، هذا سيكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية ، فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ،

فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله » .

وإذا دققنا النظر وحللنا تلك الفقرات فسوف نخرج بالآتى :

١ ــ أن جبريل ذهب إلى مريم فى مدينة ناصرة ، ولم توضح الفقرة بالتفصيل أكانت مريم فى معبد من معابد ناصرة أم كانت فى بيتها .

٢ ــ أن الملك سلم عليها وخاطبها قائلا « انك قد وجدت نعمة عند الله » .

٣ ــ أنه لما سمعت مريم ذلك من الملك بدأت تفكر وخافت «واضطربت من كلامه » فكيف علم لوقا بانفعال مريم واضطرابها ؟

٤ ــ أن الملك شرح لها تلك النعمة وهى أنها ستحمل وتلد ابنا وأوصاها بأن تسميه يسوع .

٥ ــ أن الملك قال « سيكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » ، والحقيقة الثابتة هنا أن المسيح لم يدرك ملكا أبديا ولا حتى موقتا ، فأين هذا من الوعد ؟

٦ ــ أن الملك ذكر لمريم كيفية حملها بقوله « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله » ويتضح من هذه العبارة أن الروح القدس غير جبريل إذ أن جبريل هو الذى يخاطب مريم ، كما يتضح أيضا ركاكة العبارات وعدم ارتباط الكلام بعضه ببعض .

٧ ــ أنه من المعروف أن مريم كانت مخطوبة ليوسف ، فكيف تقول لجبريل « أنا لست أعرف رجلا » أليس يوسف برجل ؟ . علما بأن مريم عذراء بالغة عاقلة تعى ما تقول ، فردها مع الحياء الذى تملكها يوضح مدى سذاجتها ، واجابة جبريل « أن الروح القدس يحل عليك » أيضا اجابة غير واضحة لأن جبريل نفسه هو الروح القدس ، ثم يقول لها « قوة الله تظللك » فما هو الارتباط بين هذه الجملة وبين ولادة الطفل ؟ ألم يعلم الله جل شأنه جبريل عليه السلام كيف يرد على سؤال مريم ؟ وكأن متى نسى أن يذكر هـذا

والمسيح نفسه لم يوضح هذا الأمر ورد على السائلين ، كما ذكر « متى » « الجواب لهذه الأسئلة عند روح الحق فانتظروا العجيب » .

ولا يفوتني أن أذكر هنا أن الأناجيل قد استعملت كلمة (ابن الله) مجازا للتعبير بها عن الأبرار والصالحين ، كما استعملت كلمة « الأب » عن الله عز وجل ، ولم تقصد الأناجيل المعنى الحقيقى لهذين اللفظين ، وفى الأناجيل أمثلة كثيرة للتدليل على صحة هذه النظرية التى خرجت بها والتى يتضح منها للقارئ أن هذه الكلمات قد استعملت مجازا فقط ولم يقصد بها المعنى المعروف لغويا :

١ ــ انجيل متى الاصحاح الخامس الفقرة التاسعة « طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون » ، لو أن المسيحيين خدعوا فى كلمة أبناء الله الواردة فى هذه الفقرة واعتبروا أن كل إنسان يقوم بالصلح بين الناس هو ابن الله ، فلن يكون المسيح وحده هو ابن الله ، بل سوف نعد أبناء الله بمئات الآلاف .

٢ ــ انجيل متى الإصحاح الخامس الفقرة (٤٤ و ٤٥) ، يقول المسيح عليه السلام « أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات » .

٣ ــ وفى الفقرتين السابعة والأربعين والثامنة والأربعين من نفس الاصحاح يقول المسيح « وان سلمتم على اخوتكم فقط فأى فضل تصنعون ، أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا ، فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » ، وفى هذه الفقرات يوصى المسيح الناس بالسلام على الجميع حتى يصبحوا كاملين مثل أبيهم الذى فى السموات ، ويقصد من ذلك أن من يسلم على الجميع يكون كاملا ويكون ابنا لله أى عبدا مرضيا عنده .

٤ ــ إنجيل متى الإصحاح التاسع الفقرت (٢ و ٦ و ٧) ، وإذا مفلوج يقدمونه إليه مطروحا على فراش فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج ثق يا بنى مغفورة لك خطاياك ، وقال للمفلوج قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك فقام ومضى إلى بيته .

وفى رأى متى أن المسيح قد فعل ذلك ليظهر لفقهاء اليهود أن « لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا » ، ولا ريب أن المفلوج لم يكن ابنا حقيقيا للمسيح وإنما قال له ذلك رفقا به . وهكذا تستعمل كلمة ابن الله فى الإنجيل من باب الرحمة والشفقة وليس للدلالة على البنوة الحقيقية .

٥ — إنجيل متى الإصحاح الحادى عشر الفقرتان الخامسة والعشرون والسادسة والعشرون ، « وقال يسوع أحمــدك أيها الأب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء وأعلنتها للأطفال » . ولو كان المقصود هنا من كلمة الأطفال معناها الحقيقى لتعين أن يكون المسيح وحواريه كلهم من ذرية الله وابنائه .

٦ — إنجيل متى الإصحاح الثالث والعشرون، الفقرتان التاسعة والعاشرة ، « وانتم جميعا اخوة ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات » ، ومن الواضح طبعا أن تلامذة المسيح ليسوا بأشقاء بل هم اخوة فى الدين فقط ، ومع ذلك خاطبهم « لا تدعوا لكم أبا على الأرض » ، فإن سئل ألم يكن لهم أب حقيقى على الأرض لكان الجواب الصحيح « بلى » واقعا وحقيقة ، فمن المسلم به أن المراد من الأب هنا هو الأب المجازى أى الأب الروحانى ، وكذلك الله جل شأنه أب روحانى للمسيح كما هو كذلك لغيره من باقى العباد .

٧ — إنجيل يوحنا الاصحاح الأول الفقرتان الثانية عشر والثالثة عشر ، « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة رجل بل من الله » ، وهذه العبارة من الإنجيل توضح بجلاء أن المسيح يزعم أنه ابن الله لأنه من المقبولين عند الله ، والذين يؤمنون بالمسيح فإنهم يستحقون أيضا أن يصبحوا أبناء الله — أى مقبولين عند الله — فهل يعقل أن يكون المسيح وكل من اتبعوه بالإيمان هم أولاد الله حقيقة بالدم والجسم ، حاشا لله أن يقول أحد هذا الكلام ، فالعقل والمنطق يقرران أن المقصود من هذه العبارات هو العلاقة الروحانية بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده المؤمنين .

٨ — إنجيل يوحنا الإصحاح الثامن الفقرات (٣٧ و ٣٩ و ٤٠ و ٤٢ و ٤٣) ، قال يسوع « أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم ، فأجابوا وقالوا له أبونا هو إبراهيم ، قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم فقالوا له اننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله ، فقال لهم يسوع لو كان الله أبا لكم لكنتم تحبوننى » . وهنا يتضح للقارئ من تكرار المسيح عليه السلام لهذه الاستعمالات أن كل من يتبعه فهو من ابنائه ، ويقول لليهود وهو يعترف بأنهم من ذرية إبراهيم (لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون مثل أعمال إبراهيم » ، وبذلك جعل المسيح الأعمال أسبابا للنسب ، وفى قولهم « لنا أب واحد وهو الله » ورد المسيح عليهم « لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى » يثبت بالدليل القاطع أن المسيح اعتبر من يحبه ابنا لله دون حصر ، فالملايين من الناس الذين يدينون بدين المسيح ويتبعون تعاليمه ويحبونه ، هل صاروا جميعا أبناء الله ؟

٩ — ثم يقول لهم المسيح فى الفقرة الرابعة والأربعين من ذات الاصحاح « أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » ، ومن الواضح أنه لم يكن أحد منهم من ذرية ابليس ومع ذلك فقد نسبهم المسيح إلى إبليس بسبب أعمالهم السيئة ، وقد فسر ذلك حين قال « الذى يكون من الله يسمع كلام الله ، لذلك أنكم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله » ، أفلا يفهم من هذا الكلام أن من يذهب إلى الكنيسة يسمع كلام المسيح فهو من الله ويعد ابنا لله ، وتطبيقا لهذه القاعدة فإن يوحنا ومرقس ولوقا ومتى هم بالأولى أبناء الله لأنهم جمعوا الأناجيل ويسروا للنصارى قراءة كلام الله .

ومختصر القول هو أن المراد فعلا من كلمة الأب والابن هو المعنى المجازى وليس المعنى الحقيقى ، فمثلا « ابن الله » يقصد بها فى الإنجيل « الإنسان الصالح » ، ولكن يبدو أن مدونى الأناجيل قد اتبعوا أسلوب التوراة حين أطلقت « ابن الله البكر » على إسرائيل كما ورد فى سفر الخروج الاصحاح الرابع الفقرة الثالثة والعشرون « هكذا يقول الرب : اسرائيل ابنى البكر » وفى سفر أرميا فى الباب الحادى والثلاثين الفقرة التاسعة « لأنى صرت لإسرائيل أبا وإبراهيم هو بكرى » أى الابن الأول .

ومن الواضح أيضا أن استعمال هذه الكلمات فى التوراة هو على سبيل المجاز وقــد قلد أصحاب الأناجيل أسلوب التوراة ولكنهم تجاوزوا نطاق المقصود منه ودخلوا فى متاهات التفسير فوقعوا فى الزلل .

وإننى وقد عرضت بإيجاز حقائق تتعلق بولادة المسيح عليه السلام وفق ما جاء فى القرآن الكريم والإنجيل ، أترك للقارئ وفطنته أن يقارن بين ما جاء فى الكتابين ويوازن بين أسلوبيهما ويحكم عقله لإدراك الحقيقة وأيهما أقرب للعقل والمنطق ، كما أننى استشهدت بما سجله المؤرخون عن وجود أشخاص ولدوا بغير أب واتخذهم المتوهمون من اليونانيين أبناء لله وألهوهم ، وكذلك فعل النصارى إذ اعتبروا عيسى ابن مريم ابنا لله تشبها بما فعله اليونانيون القدماء وتقليدا لهم .

وبالإضافة إلى الأمثلة التى ذكرتها عن ثبوت حقيقة الولادة بغير أب أو بدون أم ، فإنى استشهد هنا فى ختام هذا الباب بواقعة أخرى مماثلة وردت فى الإنجيل عن رجل ذكر اسمه جاء بلا أم ولا أب ومع ذلك لم يعتبره النصارى من أبناء الله كما قالوا عن عيسى عليه السلام ، ولكنهم اكتفوا بتشبيه ولادته بولادة المسيح عليه السلام ، فقد جاء فى رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين الاصحاح السابع الفقرات(١و٢و٣و٤)«لأن ملكى صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلى الذى استقبل إبراهيم راجعــا من كسرة الملوك وباركه الذى قسم له إبراهيم عشرا من كل شئ المترجم أولا ملك البر ثم أيضا ملك ساليم أى ملك السلام بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداية أيام له ولا نهــاية حياة بل هو مشبه بابن الله هذا يبقى كاهنا إلى الأبد ثم انظروا ما اعظم هــذا» .

الباب الثالث

تعليمات المسيح عليه السلام

ويشتمل على:

١ - التوحيد

٢ - الإيمان باليوم الآخر

٣ - بعض المنهيات

عندما بعث الله سبحانه وتعالى عيسى ابن مريم نبيا إلى بنى إسرائيل كانت حالتهم الأخلاقية والدينية فى غاية الانحطاط وكانوا غارقين فى الشرك يقولون عن عزير انه ابن الله ، واستباحوا الكذب والنفاق والختل والغدر حتى أصبحت تلك الخصال جزءا لا ينفك من حياتهم وكانوا يبدلون أحكام الله فيحرمون الحلال ويحلون الحرام ابتغاء المال حتى صاروا عبيدا للدرهم والدينار .

وكان اليهود لا يتورعون عن قتل الصالحين الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر حتى أرسل الله إليهم المسيح عليه السلام لجمع نعاج بنى إسرائيل الضالة .

ولا يصعب على المسلم أن يعرف ما جاء به المسيح عليه السلام من الأحكام لأن القرآن الكريم فصل فى هذا والمسلمون جميعا يؤمنون أن جميع الأنبياء والرسل من آدم عليه السلام إلى خاتم المرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قد جاءوا بدين واحد وإن اختلفت ألوان شرائعهم حسب الظروف والأحوال والأزمنة ، ولكن أساس الرسالة هو الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالله واتباع الرسل والترغيب فى العمل الصالح والترهيب من عذاب يوم القيامة . وذلك عين ما جاء به عيسى عليه السلام ، فى سورة الزخرف الآيتين الثالثة والستين والرابعة والستين :

« ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هوربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » .

وإذا كانت الأناجيل الموجودة حاليا لا يوثق بها ولا يعتمد عليها ، فإنها على الرغم من ذلك تشهد للقرآن الكريم ونؤيد ما جاء به حرفا حرفا . فتعالوا بنا لننظر ما جاء فى الكتاب المقدس بالنسبة لهذا الأمر ولنبدأ أولا وقبل كل شئ بالتوحيد والإيمان بالله .

(أولا) التوحيد

١ ـ التثنيه ـ الإصحاح السادس الفقرتان الرابعة والخامسة ، « اسمع يا إسرائيل الرب الهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك » .

٢ ـ انظر ان السموات وسماء السموات والأرض وما عليها ملك الرب الذى هو إلهك ـ الملوك .

٣ ـ أنت هو الرب وحدك أنت صنعت السموات وسماء السموات وكل جندها والأرض وما عليها والبحار وكل ما فيها وأنت تحييها كلها وجند السماء لك يسجد (نحميا) .

وفى مزامير داود الإصحاح السادس والثمانون الفقرتان الثامنة والعاشرة ، « يا رب لا مثل لك بين الآلهة يا رب ولا مثل أعمالك كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يارب ويمجدون اسمك لأنك عظيم أنت وصانع عجائب أنت الله وحدك » .

وفى إنجيل مرقس الإصحاح الثانى عشر الفقرات من ٢٨ إلى ٣٢ « فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل ، الرب آلهنا رب واحد وتحب الرب آلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الأولى وثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه » .

* * *

يوم القيامة في القرآن هو « يوم الدين » وفي الإنجيل هو يوم القضاء والعدل ، وفي « أيوب » الاصحاح التاسع عشر الفقرة التاسعة والعشرون ، « خافوا على أنفسكم من السيف لأن الغيظ من آثام السيف لكي تعلموا ما هو القضاء » .

وفي المزامير الإصحاح التاسع الفقرتان السابعة والثامنة ، « أما الرب فإلى الدهر يجلس ، ثبت للقضاء كرسيه ، وهو يقضي للمسكونة — العالم — بالعدل ، يدين الشعوب بالاستقامة ، ويكون الرب ملجأ للمستحق » .

وفي المزامير أيضا الإصحاح الثامن والخمسون الفقرتان العاشرة والحادية عشر « يفرح الصديق إذا رأى النقمة ، يغسل خطواته بدم الشرير ، ويقول الإنسان ان للصديق ثمرا ، أجرا — انه يوجد إله قاض في الأرض » .

ومن « دانيال » الإصحاح الثاني عشر الفقرات الأولى والثانية والثالثة ، وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت ينجى شعبك كل من يوجد مكتوبا في السفر وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي ، والفاهمون يضيئون كضياء الجلد — الفلك — والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور » .

وفي الإصحاح الثالث من « ملاخي » الفقرتان الخامسة والسادسة ، « وأقترب إليكم للحكم وأكون شاهدا سريعا على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زورا وعلى السالبين أجرة الأجير والأرملة واليتيم ومن يصد الغريب ولا يخشاني ، قال رب الجنود ، لأني أنا الرب لا أتغير » .

ويستطيع كل إنسان إذا تجرد من التعصب أن يرى الحقيقة جلية واضحة وهي أن العقائد الأساسية التي جاء بها المسيح وغيره من الأنبياء ، بصرف النظر عن أن كاتبي الأناجيل سجلوها بألفاظ غير واضحة ، تتوافق مع

المبادئ الإسلامية إلى حد بعيد ومثيرة للحيرة والتعجب ، وكأنهما نغمتان صدرتا من مزمار واحد أو لوحتان أبدعتهما يد فنان واحـــد ، وما أصدق قول الله عز وجل حين قال « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيـــه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم » . وصدق الله العظيم .

ثالثاً (بعض المنهيات)

١ ــ الزنـــــا

« قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن ، وأما أنا فأقول لكم ان كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ، فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم » . انجيل متى الاصحاح الخامس الفقرات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ .

٢ ــ النهى عن جمع الأموال

« فلما سمع يســوع ذلك قال له يعوزك (ينقصك) أيضا شىء ، بع كل مالك ووزع على الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى ، فلما سمع ذلك حزن لأنه كان غنيا جدا ، فلما رآه يسوع قد حزن قال ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله لأن دخول جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » . انجيل لوقا الاصحاح الثامن عشر الفقرات ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ .

٣ ــ فى البطر والسكر

« لنسلك بلياقة كما فى النهار لا بالبطر والسكر ، لا بالمضاجع والعهر ــ أى بالزنا ــ ، لا بالخصام والحسد » . رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية الاصحاح الثالث عشر الفقرة الثالثة عشر .

٤ ــ الفسق والفجور

« حسن أن لا تأكل لحما ولا تشرب خمرا ولا شيئا يصطدم به أخوك »

رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية الاصحاح الرابع عشر الفقرة الحادية والعشرون .

« كتبت إليكم فى الرسالة أن لا تخالطوا الزناة وليس مطلقا زناة هذا العالم أو الطماعين أو الخاطفين أو عبدة الأوثان وإلا فيلزمكم أن تخرجوا من العالم ، وأما الآن فكتبت إليكم ان كان أحد مدعو أخا زانيا أو طماعا أو عابد وثن أو شتاما أو سكيرا أو خاطفا أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا الاصحاح الخامس الفقرات ٩ و١٠و ١١ . أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله ، لا تضلوا ، لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعوا ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولاشتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الأرض » . رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس الاصحاح السادس الفقرتان التاسعة والعاشرة .

٥ — فى وعظ المرأة

« إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها ، وإن كان قبيحا بالمرأة أن تقص أو تحلق فلتتغط ، لهذا ينبغى للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة ، احكموا فى أنفسكم ، هل يليق بالمرأة أن تصلى إلى الله وهى غير مغطاة أم ليست الطبيعة تعلمكم أن الرجل إن كان يرخى شعره فهو عيب له ، أما المرأة إن كانت ترخى شعرها فهو مجد لها لأن الشعر قد أعطى لها عوض برقع ، ولكن إن كان أحد يظهر أنه يحب الخصام فليس لنا نحن عادة مثل هذه ولا كنائس الله » . رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس الاصحاح الحادى عشر الفقرات ٦ و١٠و١٣و١٤و١٥و١٦ .

« وكذلك أن النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن ، بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة ، لتتعلم المرأة بسكوت فى كل خضوع ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت» رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس الاصحاح الثانى الفقرات التاسعة والعاشرة والحادية عشر والثانية عشر .

وليس المقصود هنا الاطالة فى الاقتباس ، بل اننى قصدت أن أنقل بعض الشواهد من الأناجيل ليدرك المتعقلون من المسيحيين من خلال تلك العبارات والفقرات كيف أن المسيحية السائدة الآن تنتهك تعاليم المسيح عليه السلام بل كيف يفتخر بهذه المخالفة وكيف تحاول المنظمات التبشيرية أن تفسد المجتمعات الاسلامية فى البلاد الاسلامية وفق هواها وعقائدها المنحرفة عما جاء به المسيح عليه السلام تماما .

الباب الرابع

معجزات المسيح عليه السلام

من سنة الله أنه أيد رسله وأنبياءه بالمعجزات لئلا يكون للناس على الله حجة . والمعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي أو رسول لا يتأتى لأحد الاتيان بمثله حتى أن العقل البشرى يقف حائرا أمامه فلا يملك سوى التسليم بأنه من عند الله أجراه تعالى على يد عبد من عباده الذين اصطفاهم لرسالته ، وهناك أناس وهبهم الله قلوبا حساسة مضيئة وأرواحا رقيقة شفافة تهديهم إلى الايمان وتسمو بهم إلى ادراك الحقيقة بلون حاجة إلى معجزة ومن هؤلاء عبد الله بن سلام وقد كان حبرا من أحبار اليهود ، فإنه لما سمع بقدوم النبي محمد عليه الصلاة والسلام إلى يثرب — المدينة المنورة — لم يتطلع إلى معجزة أو ينتظر دليلا وإنما قال اذهبوا بي إليه لأراه فلما طالع سنا وجهه وغمره نور محياه قال على الفور « والله انه ليس بوجه رجل كاذب » ودخل فى الإسلام .

ولكن الذين يحملون مثل قلب عبد الله بن سلام قلة فى كل عصر ، ولذلك طالب كثير من الناس الأنبياء بالآيات البينات التى تشهد بأنهم مبعوثون من عند الله لتطمئن قلوبهم ولذلك كان لكل نبى معجزاته التى تؤيد نبوته وصدق رسالته .

ولو تتبعنا معجزات الأنبياء والرسل لوجدنا أن كل نبى أو رسول قد أوتى من المعجزات ما يناسب مقتضيات عصره . وقد بعث موسى عليه السلام فى عصر انتشر فيه السحر ونبغ فيه السحرة وجاءوا بسحر عظيم ، فكانت معجزته ابطال السحر وافحام سحرة فرعون مصر فلم يملكوا إلا أن قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون . وكان عصر رسولنا عليه الصلاة والسلام عصر الفصاحة والبلاغة فكان العرب يتفاخرون بفصاحة

اللسان والقدرة على التعبير والبيان وأطلقوا على من سواهم من الأقوام « عجم » — أى الخرس ، ولذلك كانت معجزته القرآن الذى تحدى به الأدباء والفصحاء وعجزوا أن يأتوا بسورة من مثله . وتلك معجزة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وأما المسيح عليه السلام فقد بعث فى عصر تميز بحذق الطب ومهارة الأطباء فكانت معجزته ابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى بإذن الله ، وتلك من أكبر وأعظم المعجزات التى منحها الله عيسى عليه السلام .

وقد ورد فى معالم التنزيل رواية عن عبد الله بن عباس أن عيسى عليه السلام قد أحيا — بإذن الله — أربعة أشخاص هم :

(١) عازر أحد أصدقاء عيسى عليه السلام وقد أخرجه من قبره بعد موته بثلاثة أيام .

(٢) ابن امرأة عجوز وهو محمول على جنازته فى طريقه إلى القبر فنزل من على أكتاف حاملى الجنازة وذهب إلى البيت .

(٣) ابنة عشار كان قد مضى على موتها يوم .

(٤) سام بن نوح .

وقصة عازر لم يذكرها إلا انجيل يوحنا ، وقد كان عازر شقيق المرأة التى صبت العطر على قدمى يسوع عليه السلام ، وذكر انجيل يوحنا أن هذه القصة وقعت على بعد ميل واحد من أورشليم — القدس — واشتهرت آنذاك فكيف خفيت عن أعين أصحاب الأناجيل الأخرى أو لماذا تجاهلوها ؟ ان ذلك لأمر يدعو إلى العجب .

وقصة احياء ابن العجوزة لم ترد فى الأناجيل اطلاقا .

وقصة البنت — بنت العاص — التى ذكرت فى رواية ابن عباس فقد أوردها لوقا ومرقس وذكرا أنها كانت ابنة رئيس المجمع الذى تلقى خبرا أن ابنته ماتت ، وكان ذلك على مسمع من المسيح عليه السلام ، فقال له

« لا تخف فهى تشفى لم تمت فهى نائمة ، فجاء إلى البيت وأمسك بيدها ونادى قائلا يا صبية قومى فرجعت روحها وقامت فى الحال » .

ونحن المسلمين نصدق قول عيسى عليه السلام ونعتقد أن البنت كانت مغمى عليها وشفيت ببركة المسيح عليه السلام .

أما رد الحياة إلى سام بن نوح فلم يرد عنها شىء فى الأناجيل .

وبعد الذى ذكرناه مما ورد فى الأناجيل من الادعاءات الناقصة المبهمة يطيب لنا أن نلقى النظر على ما جاء فى القرآن الكريم بالنسبة لمعجزات المسيح عليه السلام بأسلوب جلى واضح لا غموض فيه ولا ابهام . يقول الله تعالى فى سورة آل عمران فى الآية التاسعة والأربعين « ورسولا إلى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » .

والقرآن الكريم وهو كتاب الله المبرأ عن التحريف الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى يوم الدين ، يحدثنا عن معجزات الأنبياء والرسل بالتفصيل ، ولو فرضنا أن القرآن سكت عن ذكر المعجزات وكان لامناص من الرجوع إلى التوراة والأناجيل الموجودة . فكم كان من الناس يستطيعون أن يتبينوا حقائق المعجزات حتى يؤمنوا بها ، إن القرآن الكريم فى هذا الشأن لم يفرق بين أى نبى أو رسول ويعلن فى قوة وصراحة عن معجزاتهم جميعا ويعدهم من لدن آدم إلى نبينا صلوات الله وسلامه عليه السلسلة الذهبية المباركة ويدعونا إلى تصديق ما نزلوا به وأن تكذيب أى واحد منهم يعتبر تكذيبا للجميع ، ويجعلهم نور أعين المسلمين ، فياليت النصارى يتطبعون بالطبع السليم ويدينون للقرآن بهذه المنة العظيمة ما بقيت الدنيا .

لقد أراد بعض المبشرين المسيحيين التشكيك فى نبوة محمد عليه الصلاة والسلام بقولهم ان محمدا عليه الصلاة والسلام لم يأت بمثل المعجزات التى أتى بها المسيح عليه السلام ، فأنى تكون له الأفضلية على المسيح ، وذهبوا إلى

أن ندرة المعجزات دليل الأفضلية ، ونقول ان قياس الأنبياء على كم وكيفية المعجزات يرجع إلى فساد التفكير ورداءة الذوق . فهل أعطى عيسى مثلما أعطى إبراهيم وموسى من المعجزات ؟ والجواب طبعا بالنفى حتى النصارى أنفسهم يسلمون بذلك ، وبناء على هذا هل يكون ذلك داعيا لتفضيل عيسى عليه السلام على غيره من الأنبياء ، وليس معنى قولنا هذا أن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يعط من المعجزات مثل ما أوتى عيسى عليه السلام ، بل الأمر بالعكس فقد أظهر الله على يديه من المعجزات الباهرة ما يفوق معجزات عيسى عليه السلام ، ولإدراك هذه الحقيقة ينبغى على المسيحيين أن يرفعوا عن عيونهم حجاب التعصب . وقد أثار أحد المبشرين المسيحيين منذ بضع سنوات فى مدينة حيدر آباد بإقليم السند هذا الموضوع وذكر أن عيسى عليه السلام قد أتى بمعجزات لم يستطع الإتيان بها غيره من الأنبياء حتى محمد عليه الصلاة والسلام ، ولذلك فهو أفضل وأصدق النبيين والمرسلين وقد صعب هذا الكلام على أحد المسلمين فبعث برسالة إلى فضيلة العالم الشيخ ظفر أحمد عثمانى يطلب منه الرد على هذا الافتراء ، وتولى الإجابة عليها الشيخ محمد مالك الكاندلوى أحد زملاء فضيلة الشيخ ظفر ، ووجدت من المناسب أن أورد هنا نص الرد :

« من الواضح جدا أن المسيح عليه السلام لم يعط النبوة ولا الكتاب وهو فى حجر أمه ، ولكنه تكلم وهو لم يزل فى المهد صبيا وقد شهد القرآن الكريم على هذا ، وكان الغرض من حديثه هو تبرئة أمه مريم وليبين أنه قد ولد من غير أب وبقدرة إلهية . ولو فرضنا مع ذلك أنه قد أوتى الكتاب والنبوة فى المهد فإن ذلك لا يدل على أفضليته على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام النبي الأمى الذى ظل حتى سن الأربعين لا يعرف القراءة ولا الكتابة ثم بين ليلة وضحاها إذا به تجرى على لسانه آيات القرآن الكريم وأنهار من العلوم والمعرفة وفصاحة البيان عجز عنها فصحاء العرب ، وهذا ولاريب أفضل من النطق فى المهد .»

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاث المسيح

وصبي كان فى زمان[1] جريج وصبي آخر » . ولتفصيل هذا الأمر يمكن الرجوع إلى صحيح مسلم .

وقد كان جريج عابدا زاهدا ابتلى بسبب دعاء أمه عليه فوقع فى محنة إذ نسبت إليه امرأة مولودا كانت قد حملت به سفاحا من أحد رعاة الغنم فنطق المولود ببراءة جريج وأنه ابن الراعى . أما الصبي الثانى فكان فى حجر أمه ترضعه فمر من أمامها فارس فلما رأته دعت الله أن يجعل ولدها مثله فتكلم الرضيع[2] وقال « اللهم لا تجعلنى مثله» .

ويظهر لنا من هذا الحديث أن الكلام فى حجر الأم لم يقتصر على عيسى بن مريم وحده ، بل حدث لغيره ممن هو ليس بنبي بقدرة من الله سبحانه وتعالى ، وأن ذلك ليس بمدعاة للأفضلية بين نبي وآخر كما يتصور المسيحيون . وقد ثبت بالحديث الصحيح أن سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام كان مكتوبا عند الله نبيا وآدم بين الطين والماء .

وقيام عيسى عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى إنما كان لأن العصر الذى بعث فيه كان عصر تقدم الطب ونبوغ الأطباء فأجرى الله على يديه تلك المعجزات وتلك سنة الله فى أنبيائه ورسله يؤيدهم بالمعجزات التى تتناسب مع مقتضيات العصر وتغلب مبتكراته وما برع فيه أهله من الفنون لكى يعلم أن ذلك فوق طاقة البشر ولم يظهر إلا بقدرة الله العلى القدير .

وكان عصر سيدنا موسى عليه السلام عصر السحر والسحرة وقد أوتى موسى عليه السلام من المعجزات ما يبطل السحر ويحنى رءوس السحرة أمامه بالإيمان على مشهد كبير من الناس فى ساحة من ساحات مصر .

ونبينا عليه الصلاة والسلام بعث فى أوج عصر الفصاحة والبلاغة فأعطاه الله معجزة القرآن الخالدة التى تحدى بها جميع نوابغ الشعراء وفصحاء المتكلمين وإذا أوتى نبي من الأنبياء معجزة لم يعطها نبي آخر فليس هذا بدلالة على الأفضلية أو على تنقيص الآخر ، فالحقيقة المسلمة هى أن تلك المعجزات التى أوتيها كل الأنبياء والرسل إنما ظهرت بقدرة الله سبحانه وتعالى وإرادته ،

(١) صحيح مسلم الجزء الثانى ص ٣٢١
(٢) صحيح مسلم الجزء الثانى ص ٣١٢

وإذا كان موسى أو عيسى عليهما السلام لم يمنحا عرش سليمان الذى كان يطير فى السماء فليس معنى هذا أن سليمان كان أفضل منهما ، وإذا كان سليمان لم يعط العصا واليد البيضاء فهذا لا ينقص من قدره شيئا ، وكلما تأملنا فى الأمر تتجلى لنا معجزة القرآن الكريم ، فانه أعظم المعجزات على الاطلاق لأن فى القرآن الكريم اعجازا عقليا وهو بلا شك أعلى درجة من الاعجاز الحسى لأن الاعجاز الحسى لا يدوم إلا الفترة التى تراه العين فيها فقط ويزول بعد ذلك فلا تبقى إلا ذكراه ، فبعد ذهاب موسى وعيسى عليهما السلام لم يعد أحد يرى سحر العصا واليد البيضاء ولم يعد أحد يشفى أو تدب فيه الحياة بعد الموت . ولأن الاعجاز فى القرآن عقلى وملموس فلا نزال نراه ونقرؤه ونؤمن به حتى اليوم وسيستمر ذلك ما بقيت الدنيا وحتى يوم القيامة .

ويشهد تاريخ العالم بأن اعجاز القرآن قد نجح فى الجزيرة العربية نجاحا منقطع النظير ، إذ لم تمض ثلاث وعشرون سنة على نزول الوحى إلا وقد دخل العرب كلهم فى الاسلام واجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع مائة وخمسة وعشرون ألفا من صحابته رضوان الله عليهم أجمعين . وبعد خمس وعشرين سنة أخرى كانت راية الاسلام ترفرف من الجزيرة العربية إلى أسبانيا من جهة وحتى السند وسمرقند من الناحية الأخرى ، بينما الأناجيل والكتب المقدسة تفيد أن جميع معجزات المسيح قد فشلت فلم يؤمن به سوى اثنى عشر حواريا أحدهم سلمه للصلب على حد قولهم .

هذا وقد أعطى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام العديد من المعجزات نذكر منها :

(١) تسبيح الحصى والطعام بين يديه الشريفتين .

(٢) تسليم الأحجار عليه .

(٣) كلام الجمل معه .

(٤) بكاء اسطوانة حنانة فى المسجد النبوى أمام جمع من الناس .

(٥) تفجر عيون الماء من بين أصابعه .

(٦) اجتماع شجرتين أمامه لستره عند قضاء حاجته فى الخلاء ثم افتراقهما بأمره .

(٧) مثول شجرة أمامه حينما دعاها ونطقها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثلاث مرات ، وذلك عندما حضر أحد الأعراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له من يشهد بأنك رسول الله ، فنادى النبي على الشجرة فمثلت أمامه ونطقت الشهادة .

(٨) كلام الذئب مع أحد الرجال واخباره بظهور النبي عليه الصلاة والسلام .

(٩) معجزة الاسراء والمعراج من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات السبع والرجوع إلى مكة المكرمة وكل ذلك فى ليلة واحدة .

(١٠) شق القمر بإشارة من اصبعه صلى الله عليه وسلم .

وجميع هذه المعجزات التى أوردنا ذكرها ثابتة بنصوص القرآن الكريم أو الأحاديث الشريفة وهى ليست بأقل درجة من المعجزات التى أعطاها الله للمسيح عليه السلام بل هى أرفع منها منزلة لأنها لم تكن فيها صلاحية لما وقع منها على عكس احياء الموتى فإنه يمكن لأى مخالف ان يقول ان الذى أحياه عيسى عليه السلام لم يكن ميتا حقيقة بل كان مغمى عليه وأفاق ولكن تسبيح الحصى وتسليم الأحجار وتفجر العيون من بين الأصابع وبكاء العمود وتحرك الشجرة من مكانها ومثولها أمام النبي صلى الله عليه وسلم ونطقها بالشهادتين كلها أمور لا يمكن التأويل فيها عقليا ولا مجال فيها لأى احتمال ولو من بعيد .

الباب الخامس

صلب المسيح أو رفعه إلى السماء

لقد أعطى الله تعالى عيسى عليه السلام القدرة على اتيان المعجزات حتى يراها الناس ويؤمنوا بأنه مبعوث من عند الله عز وجل ولكى يقيم الحجة على الذين يعارضون الحق . وقد أوردت الأناجيل أن المسيح عليه السلام كان يتجول فى القرى والنجوع ، وكلما دخل قرية تجمع أهلها حوله ينصتون إلى تعاليمه ويقدمون له مرضاهم ليشفيهم فى الحال ، ويقال ان صيادى السمك كانوا أول من آمن برسالته ، ويقول الانجيل فى ذلك انا لمسيح ذهب إلى صيادى السمك الذين يلقبهم القرآن بالحواريين[1] — أى الغسالين — وعدهم الإنجيل اثنى عشر رجلا ، وقد ذكر اسماءهم متى فى إنجيلـــه .

ومما يلفت النظر أن السابقين الأولين إلى الايمان بالأنبياء والرسل كانوا من الفقراء وهنا كذلك لم يؤمن به إلا المخلصون من الفقراء الذين أوفوا بعهد الله إلى آخر لحظة من الحياة . وكان اليهود أشد الناس عداوة للمسيح فحقدوا عليه وتآمروا ضده لأن اقبال الناس عليه وحبهم إياه كان بمثابة كئوس سم يتجرعونها فوجهوا إليه سهام السب والشتم والافتراء وحاكوا

---

(١) وفى معنى الحواريين ستة أقوال :

١ — انهم الخواص الأصفياء قال ابن عباس الحواريون أصفياء عيسى.

٢ — انهم البيض الثياب روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنهم سموا بذلك لبياض ثيابهم .

٣ — انهم القصارون سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أى يبيضونها.

٤ — الحواريون المجاهدون :

٥ — الحواريون الصيادون .

٦ — الحواريون الملوك — وقد حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن الانبارى.

ضده المؤامرات ، ولمـــا باءت كل محاولاتهم بالفشل ونفد صبرهم تماما ولم يطيقوا الانتظار أبدا ذهبوا إلى « بيلاطس » الوالى المقرر من قبل قيصر الروم واختلقوا أمامه الأكاذيب التى توغر صدره عليه وتغريه بقتله وهذا من المفارقات المؤسفة ، فكيف نتصور مشهدا أعمق ألمـــا من رؤية وفود المنتسبين إلى التوحيد المؤمنين برسالة السماء فى بلاط حاكم وثنى مشرك بالله يطالبونه بصلب داع من دعاة الحق والبر والمحبة والإحسان .

وفيما يلى تفصيل ما ذكرناه إجمالا على لسانى يوحنا ومتى ، فى الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى الفقرات ١و٢ ومن ١٥ إلى ٥٠ :

« ولمـــا كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطى الوالى ، فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلا أأنت ملك اليهود ، فقال له يسوع أنت تقول ، وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشئ ، فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جدا .

« وكان الوالى معتادا فى العيد أن يطلق للجمع أسيرا واحدا من أرادوه ، وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى (باراباس) ، ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن أطلـــق لكم ؟ باراباس أم يســـوع الذى يدعى المسيح ؟ لأنه علم أنهم اسلموه حسدا ، وإذ كان جالسا على كرسى الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة اياك وذلك البار لأننى تألمت اليوم كثيرا فى حلم من أجله ، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا (باراباس) ويهلكوا يسوع ، فأجاب الوالى وقال لهم من من الاثنين تريدون أن أطلق لكم ؟ فقالوا باراباس ، قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح ؟ قال له الجميع ليصلب ، فقال الوالى وأى شر عمل ، فكانوا يزدادون صراخا قائلين ليصلب ، فلما رأى (بيلاطس) أنه لا ينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا إنى برئ من دم هذا البار أبصروا أنتم ، فأجاب جميع الشعب وقالوا دمـــه علينا

وعلى أولادنا ، حينئذ أطلق لهم (باراباس) وأما يسوع فجلـــده واسلمه ليصلب » .

« فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة — مجموعة العسكر — فعروه وألبسوه رداء قرمزيا ، وضفروا قليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود ، وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه ، وبعد ما استهزءوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب » .

« وفيما هم خارجون من دار الولاية وجدوا إنسانا قيروانيا اسمه (سمعان) فسخروه ليحمل صليبه ولمـــا أتوا إلى موضع يقال له جلجثة وهو المسمى موضع الجمجمة ، أعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب ولمـــا ذاق لم يرد أن يشرب ، ولمـــا صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها لكى يتم ما قيل بالنبى اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة ، ثم جلسوا يحرسونه هناك ، وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة هذا هو يسوع ملك اليهود ، حينئذ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار » .

« وكان المجتازون (المـــارون) — يجدفون — (يلعنون) — عليه وهم يهزون رءوسهم قائلين يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك ، إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب ، وكذلك رؤساء الكهنة أيضا وهم يستهزئون مع الكتبة — الفقهاء — والشيوخ قالوا ، خلص آخرين وأما لنفسه فما يقدر أن يخلصها ، إن كان هـــو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به ، قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده لأنه قال أنا ابن الله ، وبذلك أيضا كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه » .

« ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة ، ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلى إيلى لما شبقتنى — أى إلهى إلهى لمـــاذا تركتنى — فقوم من الواقفين هناك لمـــا سمعوا قالوا إنه ينادى إيليا ، وللوقت — على الفور — ركض واحد منهم وأخذ اسفنجة

وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه ، وأما الباقون فقالوا إترك لنرى هل يأتى إيليا يخلصه ، فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح ».

ونعتذر للقراء عن الاطالة فى الاقتباس لأننا مضطرون أن نوضح الأمر كما ورد فى الإنجيل ولكي يستطيع القارئ أن يستنتج بسهولة أن تلك النهاية التى صورها الإنجيل لا يمكن أن يقبلها عقل فضلا عن أنها لا تليق بمكانة نبي من الأنبياء أو ابن الله — على حد قول النصارى — فالعجز والمسكنة والضعف الذى صوروا به المسيح عليه السلام ساعة صلبه لا يليق بمكانته كنبي مرسل وصاحب معجزات . ونقول من جهة أخرى هل يثبت ذلك الألوهية أم الضعف والعجز والعياذ بالله ، فالله عز وجل عظيم قوى قادر على كل شئ لا تنفك عنـــه صفة القدرة فى أى وقت ، ولا يتصور أن يكون قويا عزيزا فى وقت ما وضعيفا عاجزا فى وقت آخر ، ولو فرضنا الوهية المسيح كما يعتقد النصارى لضللنا ، فكيف تخلت ألوهيته عن صفة القدرة لتخليص نفسه عندما صلبوه وهو يصرخ طالبا النجـــاة حسب تعبيرات الأناجيل .

ولو بحثنا الموضوع من وجهة نظر المناقب الإنسانية بعيدا عن التصور النصرانى لتأليه المسيح لوجدنا أن الأناجيل قد أساءت إلى شخصية المسيح الطاهرة فى تصويرها لنهايته وصلبه ، فالمعروف عن كل الربانيين أنهم يعتبرون الموت فى سبيل الله يورث حياة سرمدية ويضحون بأرواحهم مبتسمين مع اعتقادهم أنهم لم يوفوا حق الله عليهم ، فكيف بالإنجيل يصور لنا المسيح عليه السلام يستنكر الموت فى سبيل الله ويشكو لله صارخا من أن دعاءه لم يستجب « إيلى إيلى لمـــاذا شبقتنى » أى لمـــاذا تركتني . وقد ورد عن الصابرين عند الموت فى سبيل الله .

ولا أبالى حين أُقتَلُ مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

ونؤكد أن كل إنسان منصف يرى فى نسبة هذه القصة للمسيح عليه السلام على هذا النحو اتهاما له وتوهينا لشخصيته الطاهرة لأن مثل هذا الموقف عند الشدائد لا يليق بالإنسان العادى فضلا عن النبى المرسل من الله .

وكما تكرمت الأناجيل على المسيح بتلك التعبيرات الساقطة ، فإنها كذلك لم تترك حوارييه الذين يعدون على أصابع اليد من القدح فتنسب الخيانة إلى أحدهم وهو يهوذا .

(إنجيل متى — الاصحاح السادس والعشرون — الفقرات من ٢٠ إلى ٢٥) .

« ولما كان المساء اتكأ مع الاثنى عشر وفيما هم يأكلون قال المسيح الحق أقول لكم ان واحدا منكم يسلمنى ، فحزنوا جدا وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يارب ، فأجاب وقال الذى يغمس يده معى فى الصحفة هو يسلمنى ، إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الإنســان كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد ، فأجاب يهوذا مسلمه وقال هل أنا هو يا سيدى قال له المسيح أنت قلت » .

كانت هذه العبارات لمتى ، لكن يوحنا لم يكتف بذلك وقال إن الشيطان قد حل فى يهوذا ..

(إنجيل يوحنا — الاصحاح الثالث عشر — الفقــرتان ٢١ و ٢٧)

« لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم إن واحدا منكم سيسلمنى ، فكان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض وهم محتارون فيمن قال عنه ، وكان متكئا فى حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه فأومأ إليه سمعان بطرس أن يسأل من عسى أن يكون الذى قال عنه ، فاتكأ ذلك على صدر يسوع وقال له يا سيد من هو ، أجاب يسوع هو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه ، فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا بن سمعان الأسخريوطى ، فبعد اللقمة دخله الشيطان » .

ومن الغريب جدا أن الشخص الذى يعطيه النبى لقمة بيده المباركة يحل فيه الشيطان بدلا من أن تناله البركه ، والأغرب من ذلك أن يقرر الإنجيل أن سمعون بطرس الذى كان يسوع المسيح عليه السلام يحبه ويقربه كان كذابا ومنافقا ومخادعا بل ومنكرا للرسالة .

(إنجيل متى — الإصحاح السادس والعشرون — الفقرات من ٦٩ إلى ٧٤)

« أما بطرس فكان جالسا خارجا فى الدار فجاءت إليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلى ، فأنكر قدام الجميع قائلا لست أدرى ما تقولين ، ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصرى ، فأنكر أيضا بقسم انى لست أعرف الرجل ، وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقا أنت أيضا منهم فإن لغتك تظهرك ، فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف انى لا أعرف الرجل » .

ولو قالوا أن الذى حدث من يهوذا وسمعون بطرس إنما هو ضعف من بعض الحواريين ، وأن الآخرين ثبتوا على إيمانهم وظلوا يؤيدون المسيح ويؤمنون به ، فإن إنجيل متى يخيب هذا الظن أيضا حينما يقول إنه عندما جاء وقت الشدة هرب كل الحواريين ولم يبق واحد منهم عند المسيح .

(إنجيل متى — الإصحاح السادس والعشرون — الفقرتان ٥٥ و ٥٦)

« فى تلك الساعة قال يسوع للجموع كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى ، كل يوم كنت أجلس معكم أعلم فى الهيكل ولم تمسكونى ، وأما هذا كله فقد كان لكى تكمل كتب الأنبياء ، حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا » .

بعد أن سجلنا فيما سبق من هذا الباب قصة صلب المسيح كما وردت فى الأناجيل ، نأتى بعد ذلك إلى ما جاء فى القرآن الكريم بالنسبة لذلك .

١ — فى الآيتين الثانية والخمسين والثالثة والخمسين من سورة آل عمـــران يبرئ القرآن الكريم الحواريين من الاتهامات التى ألصقت بهم ، قال تعالى « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » .

٢ — وفى الآيتين ١٥٧ و ١٥٨ من سورة النساء يقول القرآن الكريم عن صلب المسيح « وما قتلوه وما صلبوه ولـكن شبه لهم وان الذين اختلفوا

فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما » .

ومع أن القرآن الحكيم لم يذكر بالتفصيل كيف أنه شبه لليهود وكيف لم يتمكنوا من معرفة ذلك ، فإن بعض المحققين والمفسرين كابن كثير وغيره من المجتهدين قد جمعوا روايات كثيرة فى هذا الصدد ، نورد بعضها فيما يلى :

حينما حوصر المسيح عليه السلام فى البيت ، الذى كان موجودا فيه مع تلاميذه خاطبهم قائلا سيرفعنى الله إليه ويغلب واحدا منكم على شبهى — صورتى — ليشتبه الأمر على اليهود ويقبضون عليه فمن يستعد منكم لهذه التضحية . فقام واحد من الحواريين وقدم نفسه للفداء ، فجعله الله شبيها للمسيح عليه السلام ورفع المسيح إلى السماء . وتقول رواية أخرى أن أحد هؤلاء الحواريين كان يشبه المسيح عليه السلام إلى حد كبير ، فلما رفع المسيح إلى السماء ، قام اليهود بصلب ذلك الحوارى ظنا منهم أنه هو يسوع المسيح عليه السلام .

وقد قام فضيلة الشيخ عبد الماجد دربابادى أحد علماء الباكستان الأفاضل بتحقيق هذا الموضوع وقال « إن المفسرين اتفقوا على أن اليهود قد انخدعوا وصلبوا شبيه المسيح ، ولكن من كان ذلك الشخص ؟ وكيف انخدعوا فيه ؟ فلا يوجد تصريح فى القرآن الكريم ولا فى الحديث الصحيح ، وإذن لا مناص من الرجوع إلى التاريخ وتقليب صفحاته وجمع متفرقات هذا الموضوع وعرضها على بساط البحث لكى نصل فى النهاية إلى الحقيقة ونختار أرجحها ، ومن الأمور التى تتضح لنا لأول وهلة أن المسيح عليه السلام لم يكن كثير المخالطة لأهل أورشليم ونتيجة لذلك فإن وجهه لم يكن معروفا لخاصة الناس وعامتهم ، ولذلك عندما أراد جنود الحاكم بمصاحبة رؤساء كهنة اليهود القبض على المسيح استعانوا برجل منافق من أصحاب المسيح ليدلهم على شخصيته ، ويكشف عن هذا السر أيضا الإمام الرازى فى كتاب التفسير فيقول « والناس ما كانوا يعرفون المسيح إلا بالاسم لأنه كان قليل المخالطة للناس » .

وقد ورد فى إنجيل متى ومرقس أن جمعا كبيرا من رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب جاء بسيوف وعصى يريدون القبض على المسيح ولكنهم ما استطاعوا إلا بواسطة يهوذا أحد الحواريين الاثنى عشر الذى غدر بالمسيح ».

وفى إنجيل يوحنا « فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح فخرج يسوع من البيت وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم من تطلبون ، أجابوه نطلب يسوع الناصرى ، قال لهم يسوع أنا هو ».

ويؤكد كل ذلك أن المسيح كان مجهولا بين الناس وأن كل ما يعلمونه أنه يوجد رجل يدعى يسوع الناصرى ، فقد كان واقفا أمامهم ولم يعرفه أحد منهم.

والأمر الثانى الذى يلاحظ هنا أن اليهود قد ذكروا أن يسوع الناصرى كان قادرا على تغيير هيئته الظاهرية ، وقد ذكر ذلك فى الإنجيل كإحدى معجزات المسيح عليه السلام ، ففى إنجيل متى الاصحاح السابع عشر الفقرتان الأولى والثانية « وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين ، وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور ».

وفى إنجيل لوقا الاصحاح التاسع الفقرة التاسعة والعشرون « وفيما هو يصلى صارت هيئة وجهه متغيرة ولباسه مبيضا لامعا ».

وفى الاصحاح التاسع من إنجيل مرقس الفقرة الثانية « وتغيرت هيئته قدامهم وصارت ثيابه تلمع بيضاء جدا كالثلج ».

والقدرة على تغيير الهيئة بالنسبة للمسيح عليه السلام ثابتة من الإنجيل ولكن هل كانت إحدى معجزاته أم لا ؟ فهذا بحث آخر.

وأما الأمر الثالث فهو استحضار الحقيقة التاريخية من أن حكام البلاد ورجال الجيش والشرطة كانوا كلهم من الرومان ، وكانوا لا يختلفون

عن الإسرائيليين فى الدين فقط — لأنهم كانوا وثنيين — بل كانوا مختلفين فى البشرة والشكل واللغة والزى وكل شئ ، فكان لا يستطيع جنودهم أن يميزوا بين شخص وآخر وكانوا يتصورون الجميع على شكل واحد وعلى العكس كان أهل تلك البلاد يتصورون جنود المستعمر فى صورة واحدة كالمستعمرين البريطانيين ، ولذلك كان يتشابه على الرومان صور الإسرائيليين وغير الإسرائيليين من سكان البلاد .

والأمر الرابع أن المكان الذى كانوا يصلبون فيه حينذاك كان يقع على بعد كبير من مكان المحاكمة ، وكان الصلب يتم على عامود خشبى مثبت فى مكان الصلب يوثق عليه المذنب بواسطة خشبة عارضة يحملها على كتفه من مقر الحكم إلى مكان تنفيذه . ونسجل فيما يلى ملاحظاتنا عن عملية الصلب المفروضة :

١ — عندما حكم على المسيح عليه السلام بالصلب كانت آخر ساعة من ساعات نهار يوم الجمعة وكان اليهود فى عجلة من أمرهم ليتخلصوا من يسوع قبل حلول المغرب لأنه بحلول المغرب يبدأ اليوم التالى وهو يوم السبت الذى حرم عليهم فيه الصلب ، كما أنهم كانوا على أبواب عيد الفصح ، ولذلك فقد كان يهمهم أن يتم الصلب والدفن قبل حلول السبت .

٢ — كان من المستحيل أن يحمل المسيح وهو ضعيف البنية تلك الخشبة الثقيلة حتى يصل بها إلى مكان الصلب النائى البعيـــد عن المدينة لا سيما وأن أشرار اليهود وأولادهم كانوا سائرين خلفه مستهزئين به ساخرين منه وكان يسير معه اثنان من المذنبين لتنفيذ الصلب عليهم ، وبدلا من أن يحمل الحراس الخشبة إلى ساحة الصلب فإنهم حملوها لأحد اليهود الأشرار شأنهم فى ذلك شأن المستعمرين عند تنفيذهم للأحكام ، وذلك ليس بقياس من عندنا ولكن الأناجيل تؤيد هذه الفكرة . فقد ورد فى إنجيل متى الاصحاح السابع والعشرون الفقرة الثانية والثلاثون : « وفيما هم خارجون وجدوا إنسانا قيروانيا اسمه (سمعان) فسخروه ليحمـــل صليبه » وكان الموكب الذى سار به إلى ساحة الصلب فى حالة من الفوضى والجلبة وسوء

النظام عندما وصل إلى باب الساحة انتهت مهمة حراس الطريق وجاء دور حراس الساحة فى هذه الأثناء اختلط عليهم الأمر حتى انهم لم يفرقوا بين يسوع الناصرى وحامل الخشبة (سمعان القيروانى) لأن العادة كانت تقضى أن الذى يحمل الخشبة هو المجرم فصلبوا سمعان الذى أخذ يصرخ ويستغيث ولكن صوته واستغاثاته كانت قد ضاعت وسط الجلبة والضوضاء، ثم إن الحراس من الرومان لم يفهموا ما كان يقوله لأنهم كانوا لا يعـــرفون اللغة العبرية وفضلا عن ذلك كله أن الجميع كانوا فى استعجال لهذا الأمر وبذلك صلب سمعان ونجا المسيح عليه السلام من الصلب وشبه الأمر .

وهـــذه القصة ليست مخترعة ، بل لقد اعتقدت بها فرقة قديمة من المسيحيين عرفت باسم « باسيليدية » ، وقد توفى بانى هذه الفرقة عام ١٤٠ ميلادية وكان يقول صراحة إن الذى صلب هو سمعان القيروانى وليس المسيح عليه السلام .

وسواء أكان المسيح قد رفع إلى السماء من البيت الذى حوصر فيه للقبض عليه أو أن يكون أحد تلاميذه من الحواريين هو الذى سلم نفسه بدلا منه للصلب أو أن يكون قد نجا بصلب سمعان القيروانى بدلا منه ، فإن النتيجة هو أنه لم يصلب وأنه قد رفع إلى السماء ، فخاب اليهود وفاز المسيح عليه السلام .

ويخالط بعض المبشرين المسيحيين عامة المسلمين فى مسألة الرفع ويقولون ان المسيح عليه السلام قد رفع إلى السماء حسب عقيدتكم وأن محمداً عليه الصلاة والسلام مات ودفن فى الأرض ليبلبلوا أفكارهم فى أن عيسى أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ، ونحن نقول لهم اننا لا ننكر فضائل المسيح عليه السلام ونؤمن بأنه نبى مرسل من الله وأن سوء الأدب فى شأنه يذهب بالإيمان ، ونعتذر قبل القول بأن المقياس الذى تزنون به الدرجات مبنى على الجهالة المطلقة ، ونحب أن نوجه إلى حضرات المبشرين سؤالا — هل تفضلون المسيح على الملائكة ؟ — فلو أجابوا بالإثبات لقلنا لهم ان الملائكة موجودون فى السماء قبل أن يولد المسيح وبعد ولادته وحينما كان عيسى على الأرض

يمشي مبلغاً رسالة ربه وحتى الآن لا يخلو مكان فى السموات إلا وفيه ملك يسجد لله فهل تفضلون الملائكة على عيسى بهذا السبب ؟ ونترك هذا المثال ونأتى إلى مثال آخر وهو أن الطيور تطير فى الأجواء ليلا ونهاراً بينما الإنسان يمشي على الأرض فهل تفضل العصافير والغربان على الإنسان بهذا الوجه ؟ وكيف تكون الفوقية والسفلية علامة للأفضل والمفضول ؟ ونحن نقول وبدون تشبيه وحاشا أن نقصد بذلك الإساءة إلى سيدنا المسيح عليه السلام ، فهل رأيتم الحباب التى تعلو سطح الماء بينما اللآلئ تكون فى الأعماق وقاع البحار فهل من عاقل يفضل الحباب الطافى على سطح الماء على اللآلئ المكنونة فى قاع البحار ؟ ولعل المبشرين لا يلتفتون إلى ما عرضناه خاصة إذا تصوروه جواباً إلزامياً ولذلك نذكرهم بما ورد فى الأناجيل فيما يتعلق بهذا الموضوع :

« الملوك الثانى الاصحاح الثانى — الفقرتان ١١ و١٢ » .

« وفيما هما يسيران ويتكلمان اذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء وكان أليشع يرى وهو يصرخ يا أبى يا أبى مركبة اسرائيل وفرسانها ، ولم يره بعد ، فأمسك ثيابه ومزقها قطعتين » .

ويثبت من هذه الفقرة التى أقتبسناها أمرين بصراحة (١) أن إيليا صعد إلى السماء (٢) وأنه صعد إلى السماء فى المركبة . وربما لا يعرف كثير من القراء أن إيليا هذا هو الذى كان يعتقد اليهود والنصارى أن ظهور المسيح لن يكون إلا بعد نزوله من السماء ، ولهذا لما بعث عيسى ابن مريم إلى بنى إسرائيل سألوه (هل أنت المسيح ؟) ثم أجابوا بأنفسهم « كيف يمكن أن تكون المسيح وإيليا لم ينزل من السماء » فأجاب المسيح « قد جاء إيليا وهو يحيى » فكان إيليا قد صعد إلى السماء ثم نزل منها فى صورة يحيى ، فلو اتخذنا الصعود والنزول سبباً للفضيلة لكان إيليا أفضل من المسيح لأنه صعد إلى السماء قبل المسيح وصعد راكباً مركبة ثم نزل على الأرض فى صورة يحيى أى صار نبياً مرتين فيكون على مقياس المسيحيين أفضل من جميع الأنبياء بينما المبشرون وغيرهم من المسيحيين لا يتصورون

أفضلية إيليا على المسيح أبداً ، ثم كيف يطلبون منا أن نفضل عيسى عليه السلام على نبي آخر الزمان عليه الصلاة والسلام بسبب الصعود والنزول فليتأمل القارئ دهاء المبشرين وذكاءهم في تدليس هذا الأمر فيلزمون غيرهم بما لم يلزموا به أنفسهم .

الباب السادس

معلومات عن الأناجيل

أولا : تناقض بعضها لبعض

ثانيا : نقص مستواها عن الوحي السماوي

يقول القرآن الكريم فى سورة المائدة الآية السادسة والأربعون « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين » .

يتبين من هذه الآية أن الله عز وجل قد أعطى عيسى عليه السلام كتاباً سماوياً هو الإنجيل كل حرف منه نزل من عند الله ، ولكن الكتاب المقدس الذى نجده اليوم هل كل حرف فيه نزل من السماء ؟ إن الشك فى هذا لم يتطرق إلى المسلمين فحسب بل تجاوزهم إلى المحققين المسيحيين ممن تردد فى صفة نصوص الكتاب ، وفى فترة من الزمن كان بعض فضلاء المسيحيين يعتقدون فى صحة الإنجيل ولكن مع رقى العلوم الطبيعية انكشفت لهم عجائب الأناجيل ، فبدأوا يشكون فى أنه كلام الله وأن كلماته كلها من عند الله .

ويقول المبشر المعروف وليام مينشن « ان علماء المسلمين يعتقدون بأن الله ينزل كلامه عن طريق الوحى فمعنى هذا أن يكون كل حرف من حروفه نازلا من عند الله ويسمى الإلهام باللفظ أيضاً ، فهل ينبغى للمسيحيين أن يعتقدوا فى الكتاب المقدس مثل اعتقاد المسلمين ؟ لا شك أن جميع علماء المسيحيين كانوا يعتقدون هذا فى زمن ما ، ولكن لم يكن هذا الاعتقاد متصورا فى أيام الكنيسة الأولى ، وكان الاعتقاد آنذاك أن متون الكتب المقدسة كتبت عن طريق الإلهام ولكن لم يكن يتصور أن كل حروفه أملاها روح القدس .

وجاء فى دائرة المعارف البريطانية[1] أن « العهد الجديد لم يكن فى البداية سنداً قوياً ومرجعاً وثيقاً وكان العلماء يغيرون فى المتن حسب الأحوال والضرورة ويضيفون فيه بعض العبارات » .

والحاصل من البحث أن الإنجيل الذى يذكره القرآن الكريم لا وجود له اليوم على وجه الأرض ومن الواضح جداً أنه لو كان الإنجيل المذكور موجوداً لكان فى لغة المسيح والحواريين ، ومن المعروف أن المسيح عليه السلام كان يتكلم باللغة العبرية ، بينما الأناجيل الموجودة فى هذا العصر كلها باللغة اليونانية وترجمت منها إلى اللغات الأخرى .

يحتوى لفظ بايبل على معنيين الأول يسمى بالعهد القديم أو العهدالعتيق ، والثانى يسمى بالعهد الجديد . ويمكن تسمية العهد القديم بالتوراةوالعهد الجديد بالإنجيل وبحثنا هذا يتعلق بالأناجيل . فلهذا سنترك العهد القديم ونتعرف على العهد الجديد . والأناجيل الموجودة فى العالم كثيرة العدد ويرجع سبب ذلك إلى نشوب الخلافات بين الفرق المسيحية فى القرن الثانى الميلادى ، إذ قامت كل فرقة من النصارى بتصنيف نسخة من الإنجيل وفق ما يلائم معتقداتها واستشهدوا بأقوال المسيحيين والحواريين والمسيح عليه السلام وأفعالهم لتأييد موقفهم . ونذكر فيما يلى بياناً بهذه الأناجيل نقلا عن كتاب فى تاريخ الصحف السماوية بحوالة دائرة المعارف البريطانية .

١ – إنجيل الطفولية التى كتبها متى
٢ – إنجيل بطرس
٣ – إنجيل يوحنا
٤ – إنجيل يوحنا الثانى
٥ – إنجيل اندرياه
٦ – إنجيل فيليب
٧ – إنجيل بارثالومى
٨ – إنجيل توما
٩ – إنجيل توما الأول والثانى
١٠ – إنجيل يعقوب
١١ – إنجيل نيقوفيا
١٢ – إنجيل ميثى كرز
١٣ – إنجيل مرقس للمصريين
١٤ – إنجيل مرقس المروج
١٥ – إنجيل برناباس
١٦ – إنجيل لوقا

---

(١) دائرة المعارف البريطانية الجزء الرابع ص ٤١٨

١٧ — إنجيل متى
١٨ — إنجيل ثى ذانس
١٩ — إنجيل بـال
٢٠ — إنجيل باسيليديس
٢١ — إنجيل سرنتس
٢٢ — إنجيل ابيانى
٢٣ — إنجيل يهوذية
٢٤ — إنجيل جـود
٢٥ — إنجيل مارشين
٢٦ — إنجيل ناصرين
٢٧ — إنجيل تاتيال
٢٨ — إنجيل وولن تينس
٢٩ — إنجيل سيتى ثينس
٣٠ — إنجيل أبولس
٣١ — إنجيل انيكارتينس
٣٢ — إنجيل ولادة مريم
٣٣ — إنجيل جوداس
٣٤ — إنجيل كامليت

وتسلم الفرق المسيحية برسائل كثيرة غير هذه الأناجيل تعتقد أنها من تحرير الحواريين أيضاً ويصل عدد هذه الرسائل إلى مائة وثلاثة عشر ، ولما أحس زعماء النصارى بتلك التفرقة والعصبية بين الفئات المسيحية عقدوا مجلساً للشورى عرف باسم « مجلس نيقا » فى أواسط القرن الرابع وانتخبوا من بين هذه الأناجيل أربعة فقط هى (متّى — مرقس — لوقا — يوحنا) بالإضافة إلى أعمال الرسل وثلاث عشرة رسالة من رسائل « بـال » وبذلك يكون مجموع ما اتفقوا على صحته واعتماده سبعاً وعشرين سفراً وأطلق على هذه المجموعة من الأسفار « العهد الجديد » وهى التى راجت بين المسيحيين بأمر البابا جلاسيوس ، ولا تزال هذه المجموعة بعينها هى السائرة بين المسيحيين إلى يومنا هذا .

مناقضة بعضها لبعض

على الرغم من تلك الغربلة لم تخل تلك المجموعة المنتقاة « العهد الجديد » من التضاد والتعارض الذى يجرح عظمة الكتاب المقدس ، ونورد هنا على سبيل المثال بعض الاقتباسات .

١ — (صموئيل الثانى — الاصحاح الثامن — الفقرة الرابعة)

« فأخذ داود منه ألفاً وسبع مائة فارس وعشرين ألف راجل » . وترى نفس القصة فى (أخبار الأيام الأول — الاصحاح الثامن عشر — الفقرة

الرابعة) « وأخذ داود منه ألف مركبة وسبعة آلاف فارس وعشرين ألف راجل » . وواضح من كلتا الفقرتين أن الفرق بين عدد الفرسان ليس فرقاً يسيرا يعد بالآحاد أو العشرات وإنما هو خمسة آلاف وثلاثمائة فارس ، فهل لنا أن نسأل المسيحيين أى العددين هو الصحيح ؟

٢ — وفى إنجيل يوحنا يقول المسيح عليه السلام ذاكراً تلميذه الذى سيسلمه « هو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه » (الاصحاح الثالث عشر فقرة ٢٦) أما متى فيسردها كالآتى « قال الذى يغمس يده معى فى الصحفة هو يسلمنى » (الاصحاح السادس والعشرون الفقرة ٢٣) . بينما أوردها لوقا على النحو التالى « ولكن هو ذا يد الذى يسلمنى هى معى على المائدة » (الاصحاح الثانى والعشرون فقرة ٢٢) . وما من شك فى أنها قصة واحدة ولكن الأناجيل أوضعت فيها الخلاف والإضطراب .

٣ — يقول يوحنا فى شأن وطن المسيح عليه السلام « وبعد اليومين خرج من هناك ومضى إلى الجليل ، لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبى كرامة فى وطنه » (الاصحاح الرابع الفقرتان ٤٣ و ٤٤) . ويفيد هذا القول أن الجليل لم يكن وطنه وأنه قدم إليـــه من الجهة التى تعتبر وطنه . ولنلاحظ ما ذكره كل من متى ومرقس ولوقا فى هذا الصدد ، قالوا « كان وطنه الجليل » وعن لسان المسيح « الحق أقول لكم انه ليس نبى مقبولا فى وطنه » .

٤ — وفى الملوك الأول الاصحاح الرابع الفقرة السادسة والعشرون « وكان لسليمان أربعون ألف مذود لخيل مركباته واثنا عشر ألف فارس » وفى الأيام الثانى الاصحاح التاسع الفقرة الخامسة والعشرون « وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل ومركبات واثنا عشر ألف فارس » وبذلك يكون الفرق بين العددين على كلا التعبيرين ستة وثلاثين ألف مذود .

٥ — وفى الاصحاح العشرين من إنجيل متى فى الفقرتين (٢٠ و ٢١) « حينئذ تقدمت إليـــه أم ابنى زبدى مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئا قال لها ماذا تريدين قالت له قل أن يجلس ابناى هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار فى ملكوتك » . وواضح من هذه العبارة أن الأم تقدم ابنيها فى خدمة المسيح ، ولكن مرقس يقول فى الاصحاح العاشر

الفقرات (٣٥ و٣٦ و٣٧) أن العرض كان من ابنيها لا من الأم « وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدى قائلين يا معلم نريد أن تفعل لنا كل ما طلبنا ، فقال لهما ماذا تريدان أن أفعل لكما ، فقالا له أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى مجدك » .

ولم يذكر هذه القصة لوقا ويوحنا فى إنجيليهما مطلقاً .

٦ ــ وفى الأيام الأول الاصحاح الحادى والعشرين الفقرة الأولى « ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصى إسرائيل » فهاهنا نسب فعل التحريض ضد إسرائيل إلى الشيطان ، ولكن فى صمويل الثانى نسب هذا الفعل إلى الله ، فقد قال فى اصحاحه الرابع والعشرين الفقرتان (١و٢) « وعاد فحمى غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلا امض واحص إسرائيل ويهوذا » . ويذكر متى فى الاصحاح الثالث الفقرة الرابعة « ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد وكان طعامه جراداً وعسلا برياً » ، ولكنه غير كلامه فى الاصحاح الحادى عشر الفقرة الثامنة عشرة فقال « لأنه جاء يوحنا لايأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان » .

كانت تلك أمثلة حية لتعارض الأناجيل وتناقضها . ونأتى الآن إلى تناول موضوع آخر أخطر على كرامة الكتاب المقدس من التناقض والتعارض .

نقص مستواها عن الوحى السماوى

(١) جاء فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر حزقيال الفقرة الأولى وما بعدها ما يأتى :

« وكان إلى كلام الرب قائلا يا ابن آدم كان امرأتان ابنتا أم واحدة وزنتا بمصر فى صباهما هناك دغدغت ثديهما وهناك تزغزغت ترائب عذرتهما واسمهما أهولة الكبيرة وأهوليبه أختها وكانتا لى وولدتا بنين وبنات واسماهما السامرة أهوله وأورشليم أهوليبه وزنت أهولة من تحتى وعشقت محبيها أشور الأبطال اللابسين الاسمانجونى ولاة وشحنا كلهم شبان شهوة فرسان راكبون الخيل فدفعت لهم عقرها لمختارى بنى أشور كلهم وتنجست بكل من عشقتهم . ولم تترك

زناها من مصر أيضا لأنهم ضاجعوها فى صباها وزغزغوا ترائب عذرتها وسكبوا عليها زناهم لذلك سلمتها ليد عشاقها ليد بنى أشور الذين عشقتهم . « إلى أن يقول « فأتاها بنوبابل فى مضجع الحب ونجسوها بزناهم فتنجست بهم وجفتهم نفسها وكشفت زناها وكشفت عورتها فجفتها نفسى كما جفت نفسى أختها وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التى فيها زنت بأرض مصر وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومنيهم كمنى الخيل وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائبك لأجل ثدى صباك .

(٢) وفى نشيد الانشاد الاصحاح الأول الفقرة الثالثة عشرة ما يأتى :

« صرة المر حبيبى لى بين ثديى يبيت »

فى الاصحاح الثالث الفقرتان التاسعة والعاشرة :

« الملك سليمان عمل لنفسه تختا من خشب لبنان ، عمل أعمدته فضة وروافده ذهبا ومقعده أرجوانا ووسطه مرصوفا محبة من بنات أورشليم » .

وفى الاصحاح السابع الفقرات من (٦ : ٩) ما يأتى :

« ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات ، قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد ، قلت إنى أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها ، وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ورائحة أنفك كالتفاح وحنكك كأجود الخمر » .

وفى الاصحاح الثامن الفقرة الثامنة :

« لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان فماذا نصنع لأختنا فى يوم تخطب » .

(٣) صموئيل الثانى الاصحاح السادس الفقرات ١٩ و ٢٠ و ٢١ « ثم ذهب كل الشعب كل واحد إلى بيته ورجع داود ليبارك بيته ، فخرجت ميكال بنت شاول لاستقبال داود وقالت ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشف اليوم فى أعين إماء عبيده كما يتكشف أحد السفهاء ، فقال داود لميكال إنما أمام الرب الذى اختارنى دون أبيك ودون كل بيته ليقيمنى على شعب الرب إسرائيل فلعبت أمام الرب » .

(٤) وفى الملوك الأول الاصحاح الأول الفقرات (١و٢و٣) . وشاخ الملك داود،

تقدم فى الأيام وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ ، فقال له عبيده ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع فى فى حضنك فيدفأ سيدنا الملك ، ففتشوا على فتاة جميلة فى جميع تخوم إسرائيل فوجدوا أبيشج الشونمية فجاءوا بها إلى الملك » .

(٥) وفى الملوك الأول الاصحاح الحادى عشر الفقرات (١و٢و٣و٤) « وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات ، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلثمائة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه ، وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه » .

(٦) وفى التكوين الاصحاح التاسع عشر الفقرات من (٣٠ إلى ٣٦) وصعد لوط من صوغر فسكن فى المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ، هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلى اضطجعى معه فنحيي من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة أيضا وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما » .

(٧) وفى انجيل متى الاصحاح الخامس عشر الفقرات من (٢٢ إلى ٢٦) « وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمنى ياسيد يا ابن داود ابنتى مجنونة جدا ، فلم يجبها بكلمة ، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ، فأتت وسجدت له قائلة يا سيد أعنى ، فأجاب وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » :

* * *

وبصرف النظر عن الاقتباسات التى أوردناها فإن عيسى عليه السلام نفسه يعلن بصراحة أن بعثته ليست عامة بل هى مقصورة على بنى إسرائيل كما نلاحظ أمرا آخر هو تسمية غير بنى إسرائيل على لسان عيسى عليه السلام بالكلاب .

(٨) وفى قصة آدم وحواء نسب الكتاب المقدس إلى حواء أنها هى التى حرضت آدم عليه السلام على المعصية — والقرآن الكريم ينفى هذا القول — وكذلك يوجد فى التكوين الاصحاح الثالث الفقرة السادسة عشر أن حواء عوقبت على هذا الاثم ، « بأن الله قال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلك ، بالوجع تلدين أولادا وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » .

ما معنى هذا ؟ خطأ يصدر من حواء تعاقب عليه نساء العالم ما بقيت الدنيا لا ينقص من آلامهن شئ حتى المسيحيات يقع عليهن هذا العذاب الشديد مع أن المسيح كان كفارة للخطايا والذنوب .

(٩) لا شك أن احترام الأم وطاعتها واجب على كل إنسان وذلك من المبادئ الأولية فى جميع الأديان حتى الذين لا يؤمنون بدين يرون أن احترام الأم من الواجبات الإنسانية ، وتعاليم الكتاب المقدس أيضا تقول بهذا ، ولكن ما تذكره الأناجيل عن سلوك المسيح مع أمه لا يتفق مع الأخلاق الكريمة وخاصة من جانب نبي من الأنبياء . فى انجيل متى الاصحاح الثانى عشر الفقرات من ٤٦ إلى ٥٠ « وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه واخوته قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه ، فقال له واحد هو ذا أمك وأخوتك واقفون خارجا طالبين أن يكلموك ، فأجاب وقال للقائل له من هى أمى ومن هم اخوتى ؟ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمى واخوتى لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى » .

وبمجرد النظر فى هذه العبارة يطرأ على الذهن سؤال هو هل إظهار رغبة أمه للقائه يعد ذنبا ؟ وهل ما كانت أمه جديرة بأن يخاطبها ويتكلم معها ؟ ألم تكن مريم تسير على مشيئة الله ، فلم لم يلتفت إليها ابنها ؟ وهل يتصور بأن عيسى عليه السلام يقول فى حق أمه (من هى أمى ؟) أى كلمة الزجر .

وفى انجيل يوحنا الاصحاح الثانى الفقرات من (١ إلى ٤) « وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك ودعى أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر ، قال لها يسوع مالى ولك يا امرأة ، لم تأت ساعتى بعد » .

فليتأمل المنصفون من المسيحيين بهدوء هل يمكن أن يخاطب المسيح أمه بكلمة « مالى ولك يا امرأة ؟ » .

الباب السابع

الإنجيل ونبيّ آخر الزمان

عليه الصلاة والسلام

أوضحنا فى الباب السابق حقيقة واضحة وضوح الشمس أن الكتاب المقدس لا ينبغي الاعتماد عليه مطلقا فى طلب الرشد والهداية فالتوراة ليست هى التوراة التى عناها القرآن والانجيل ليس هو الانجيل الذى أثنى عليه القرآن فإنه بحالته الراهنة ما هو إلا مجموعة من روايات الأشخاص مجهولى الحال تتناول أحوال موسى وعيسى عليهما السلام وسيرتهما فى صور ممسوخة وان كان يوجد فى أجزاء متفرقة منه لمحات من الصدق المفقود ولا سيما فى المواضع التى اكتفى الرواة فيها ببيان أقوال الأنبياء فقط وتجنبوا القصص الخيالية التاريخية . والمقصود من هذا الباب هو إثبات أنه بالرغم من محاولات الدفاع الكثير ضد الإسلام من جانب المسيحيين فلا زالت توجد فى صفحات الكتاب المقدس أخبار بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ، ونذكر فى هذا الباب عدة أمثلة من تلك الأخبار .

(١) لما حضر موسى عليه السلام مع جماعة من بنى إسرائيل على جبل الطور خاطبهم الرب وكلمهم من وراء الغمام والظلمات ففزعوا من ذلك وقالوا لموسى عليه السلام « تقدم واسمع لكلمات ربك » فتقدم موسى وسمع كلام الرب ، وإليكم هذه الكلمات كما جاءت فى « التثنية » الاصحاح الثامن عشر الفقرات ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ « يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون ، أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون الإنسان الذى لايسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه ، وأما النبي الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي » .

ويقول أصدقاؤنا النصارى ان هذا الخبر ليس فى حق محمد عليه الصلاة والسلام بل هو فى حق عيسى عليه السلام ، ولكن المنصف العادل يستطيع

الوصول إلى بطلان هذا الادعاء بأدنى تأمل فى كلمات الانجيل ، ولنبدأ فى تحقيق الخبر على ضوء العلامات المذكورة به .

ذكر فى الخبر أن القادم يكون من اخوتك (اخوة بنى إسرائيل) ولم يذكر أنه سيكون من بنى إسرائيل ، ومن البديهى جداً أن عيسى عليه السلام لا يصدق عليه هذا القول لأنه لم يكن من اخوة بنى إسرائيل بل كان من بنى إسرائيل أنفسهم ويتأكد ذلك من مراجعة نسب المسيح عليه السلام الذى أوردناه فى الباب الأول من هذا الكتاب نقلا عن الأناجيل ، فلقد ذكر أنه كان أحد أفراد بنى اسرائيل ولا يسع دنيا المسيحية اليوم أن تنكر أن هذه العلامات لا تنطبق إلا على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام الذى هو من بنى إسماعيل وبنو إسماعيل هم اخوة بنى اسحق .

أما العلامة الثانية فى الخبر ذاته هى أن النبى القادم « يكون مثلك » أى مثل موسى عليه السلام ، فكيف كان موسى ؟

(ا) موسى عليه السلام لم يولد من غير أب .

(ب) أنقذ بنى إسرائيل من عبودية فرعون .

(ج) كان نبيا صاحب شريعة جديدة .

(د) كان حاكما ونبيـــا .

وعيسى عليه السلام لم يكن مماثلا لموسى عليه السلام فى أحد من هذه الأمور مطلقا .

(ا) لأنه ولد من غير أب ، ولم يكن صاحب شريعة ، بل لا يصح تسميته نبيا تبعا لاصطلاح المسيحيين لأنهم يدعونه ابن الله .

(ب) يقول متى ان المسيح بعث لتجديد الشريعة الموسوية ولم يبعث بشريعة مستقلة ، ففى انجيل متى الاصحاح الخامس الفقرتان (١٧ و ١٨) « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فانى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس (التوراة) حتى يكون الكل » .

وليس هـــذا فقط بل يدعى تلاميذ المسيح أن عيسى عليه السلام قد جاء لينزع طوق الشريعة عن أعناقهم ، فتقول رســالة بولس إلى أهل غلاطية الاصحاح الثالث الفقرتان الثالثة عشر والرابعة عشر « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة » .

(ج) لم ينج المسيح أية أمة من العبودية .

(د) كان نبيا فقط ولم يكن حاكما .

والآن نأتى إلى مدى انطباق هذه الأوصاف على الرسول عليه الصلاة والسلام .

(ا) ولد النبي ولادة طبيعية .

(ب) كان صلى الله عليه وسلم صاحب شريعة مستقلة .

(ج) أنقذ العرب من سطوة العجم وغلبتهم .

(د) أنه عليه الصلاة والسلام كان حاكما ونبيــا .

فهذه الأوصاف وغيرها تثبت المشابهة بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين موسى عليه السلام ، ويشير القرآن الكريم إلى هذه المماثلة فى قوله تعالى « إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا » (المزمل) .

والعلامة الثالثة أن الله يجعل كلامه فى فمه فيكلم الناس بما يوصيه . و لا شك أن الله تعالى قد جعل كلامه فى فم عيسى عليه السلام ولكننا نسأل أين هذا الكلام ؟ وهل يمكن أن تكون هذه الأناجيل الموجودة من كلام الله بعد الذى لمسناه من النماذج التى أوردناها آنفاً والتى تقول ان عيسى عليه السلام صار ملعوناً والعياذ بالله .

لنر الآن كيف تنطبق هذه العلامة على رسول الله صلى الله عليه وسلم على عكس عيسى عليه السلام . يقول القرآن الكريم فى سورة « النجم » (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) ويقول القر ن مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) .

وقد سجل التاريخ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألقى خطبة فى حجة الوداع وفى أثناء الخطبة وجه إلى الحاضرين سؤالا ثلاث مرات ، ألا هل بلغت ؟ ولما أقروا بالتبليغ رفع أصبعه وأشار إلى السماء قائلا « اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد ، بأنى بلغت رسالتك إلى الناس » . وطلبه الإقرار من الناس بأدائه الرسالة يصدق ما ورد فى التوراة من علاماته صلى الله عليه وسلم (بأنه يكلم الناس بكل ما يوصيه الله) ويوثق القرآن الكريم على هذه الدعوى فى قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

ونأتى إلى العلامة الرابعة « انه يكلم الناس باسم الله » ، فبالنظر إلى الكلمات التى صدرت على لسان المسيح عليه السلام لا يثبت أنه بدأ كلامه المذكور فى الإنجيل باسم الله . ونبينا صلى الله عليه وسلم هو الذى تصدق عليه هذه العلامة بأول وحى نزل عليه فى غار حراء بجبل النور « اقرأ باسم ربك الذى خلق » . وليس هذا فقط ، بل لو نظرنا فى كل سورة من سور القرآن الكريم لوجدناها تبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم .

والعلامة الخامسة « انه من لم يسمع كلامه فإن الله يحاسبه » ومن الواضح جداً أن المراد بالحساب ليس حساب الآخرة لأن حساب الآخرة حق على كل إنسان وعلى كل من لم يؤمن بأى نبى فيكون المقصود به هنا على وجه الخصوص الحساب الدنيوى لكل من خالف نبياً من الأنبياء وتكون عاقبة أمره فى الدنيا خسرا .

وإذا نظرنا إلى حياة المسيح عليه السلام فى ضوء هذه العلامة لبدا لنا حسب قول النصارى أنه صلب وهو مسلوب القدرة ظاهر العجز بينما يعود قتلته إلى بيوتهم فائزين آمنين مطمئنين لم يلحقهم نقص أو يعتريهم فى دنياهم أى عقاب . وعلى عكس ذلك بالنسبة لرسولنا صلى الله عليه وسلم ، فإن جميع مخالفيه ومنكرى رسالته أصابتهم الخيبة وغشيتهم المصائب ، فاليهود الذين تآمروا ضده فى المدينة المنورة إما قتلوا وإما أجلوا عن ديارهم كما ساءت عاقبة أبى جهل وأبى لهب وغيرهما من مشركى قريش .

وذكرت العلامة السادسة « بأنه لو يتكلم ذلك النبي باسم الله كلاماً لم يوصه الله به فيقتل ذلك النبي » وباستحضار هذا الكلام فى الذهن علينا أن نفكر فى هذه الآية الكريمة من كتاب الله التى تثبت إنطباق هذه العلامة على محمد عليه الصلاة والسلام تماماً ، قال تعالى :

« ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين » .

(٢) ونسوق الآن خبراً آخر من التوراة « التثنية » الاصحاح الثالث والثلاثون الفقرات (١و٢و٣) «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته فقال جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس مع عشرة آلاف[1] من القديسين وعن يمينه نار شريعة لهم » . ويوجد فى هذا الجزء من التوراة الاخبار عن إرسال الرسل الثلاث الأول وهم موسى عليه السلام الذى يتعلق بوادى سيناء وجبل الطور خاصة ، والثانى هو المسيح عليه السلام الذى ظهر من السعير والسعير هو جبل فى الشام وأيضاً اسم لقبيلة تتفرع من آل يعقوب وتذكر هذه القبيلة فى التاريخ باسم بنى عاشر ، والثالث هو نبى آخر الزمان محمد صلى الله عليه وسلم الذى تلألأ نوره على جبل فاران ، وأين يقع فاران ؟ يكفينا فى الإجابة على هذا السؤال ما يقوله الكتاب المقدس فى حق إسماعيل بن إبراهيم من أنه كان يسكن فى برية فاران ، التكوين — الاصحاح الحادى والعشرون — الفقرتان (٢٠و٢١) ، « وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية وكان ينمو رامى قوس وسكن فى برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » .

ولا يطلق آل إسماعيل إلا على العرب وكان إسماعيل عليه السلام ساكناً فى جبال فاران التى تقع فى أطراف مكة المكرمة ، وقد جاء فى القرآن

---

(١) كان عدد القديسين فى الكتاب المقدس قبل التحريف عشرة آلاف ولكن لما طبق أهل الاسلام هذا العدد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند دخوله مكة المكرمة يوم الفتح وصار هذا العدد حجة لصدقه صلى الله عليه وسلم قام المسيحيون بتغيير هذا العدد من الآلاف الى مئات الآلاف .

الكريم فى الجزء الأول أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قد رفعا قواعد بيت الله فى هذه الجبال ، ويزداد الأمر وضوحاً بخبر النبي حبقوق الذى يقول فى اصحاحه الثالث الفقرتين الثالثة والسادسة « الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران . سلا . جلاله غطى السموات ، والأرض امتلأت من تسبيحه ، وكان لمعان كالنور له من يده شعائع وهناك استتار قدرته ، قدامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت الحمى ، وقف وقاس الأرض ، نظر فرجف الأمم (أى زلزلها) » .

أما يتبين من هذا الخبر ولاسيما من الكلمات (جبل فاران — والأرض امتلأت من تسبيحه) أن المراد هو محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن معنى امتلأت الأرض من تسبيحه لا يصدق إلا على محمد عليه الصلاة والسلام . ثم جاء فى الخبر أنه (نظر فرجف الأمم) أكانت هذه صفة المسيح عليه السلام الذى صلب حسب عقيدة النصارى ، وهل كانت صفة موسى عليه السلام الذى لم يتمكن بنو إسرائيل من دخول أورشليم إلا بعد وفاته بمدة طويلة ، وإذا نظرنا إلى التاريخ بعين الحياد لا تضح لنا أن ذلك الموصوف هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى رجف الأمم بنظره والذى يقول فى حديث صحيح « نصرت بالرعب مسيرة شهر » وتجلى من جبال فاران ، بالإضافة إلى ذكر الوصف الآخر فى خبر النبي موسى عليه السلام قبل موته بأنه « تلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس مع عشرة آلاف من القديسين » .

ويثبت من كتب التاريخ والسير والحديث أنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح مع عشرة آلاف من أصحابه يحمل مشاعل الشريعة ودخل بالجهاد والقتال . وقد أخبر عن ذلك أيضاً نبي الله سليمان عليه السلام فى (نشيد الانشاد الاصحاح الخامس الفقرات ١٠ — ١٦) .

« حبيبى أبيض وأحمر معلم بين ربوة (عشرة آلاف) رأسه ذهب إبريز (خالص) قصصه (لممه وجمته) مسترسلة حالكة (سوداء) كالغراب ، عيناه كالحمام على مجارى المياه مغسولتان باللبن (شديدة البياض) جالستان فى وقبيهما ، خداه كخميلة الطيب وأتلام رياحين ذكية ، شفتاه سوسن

يقطران مراً مائعاً (أى رائحة البلسان المائع ، وشجرة البلسان توجد فى الحجاز من الجزيرة العربية) ويداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد ، بطنه عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق ، ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين (قدمين) من إبريز (الإبريز كلمة يونانية معناها الذهب الخالص) طلعته كلبنان ، فتى كالأرز (شجرة مشهورة فى لبنان) حلقه حلاوة وكله مشتهيات » .

(٣) فى هذا الخبر يصف سليمان عليه السلام ممدوحه النبى القادم بأسلوب مملوء بعواطف الشوق والمحبة ويقول فى أثناء هذا المدح بأنه يكون فى حين من الأحيان فى وسط عشرة آلاف من المجاهدين ، ثم قال « وكله مشتهيات » وفى الإنجيل العبرانى استعملت « كلمة محمديم » محل « مشتهيات » وترجمة محمديم باللغة الإنجليزية (All Together lovely) ويقول علماء اللغة العبرانية ان حرف « يم » يستعمل للإحترام والتعظيم كما قيل فى الكتاب المقدس « ألوهيم » بدلا من إله وبعليم بدلا من بعل (الولى) ويظهر من هذا أن لفظ « محمد » هو الأصل واستعملوها محمديم للتعظيم ثم غير النصارى هذه الكلمة حتى لا تعرف .

كما ورد الخبر أيضاً عن نبى آخر الزمان فى « اشعياء » الاصحاح التاسع الفقرتان السادسة والسابعة « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسماً عجيباً ، مشيراً إلهاً قديراً أبا أبدياً ، رئيس السلام ، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد ، غيرة رب الجنود تفعل هذا » .

وفى هذا الخبر أيضاً وصف للنبى المنتظر ولكن النصارى يطبقون هذا الخبر على المسيح عليه السلام حسب عادتهم . ولكن مقتضى الانصاف يجعلنا نسأل : هل الصفات التى وردت فى هذا الخبر عن النبى القادم تنطبق على شخصية عيسى عليه السلام وهل أى اسم من الأسماء المذكورة يلائم أوصاف المسيح ، لأنه قيل فى الخبر « تكون الرياسة على كتفه » فهل كان المسيح عليه السلام بانى دولة ؟ وعلى عكس ذلك كان محمد صلى الله عليه وسلم موصوفاً بهذه الصفة وكانت الرياسة على كتفه . وقيل « يدعى اسمه

عجيباً » ولا أعجوبة فى اسم عيسى والمسيح لأنه يقال عيسى لمن يكون أحمر اللون ، والمسيح لمن يسوح فى الأرض ، ولكن اسم « محمد » كان عجيباً حقيقة لأنه من حيث الصوت والمعنى كان عديم المثال كما كانت ذاته شريفة جامعة المحاسن وهذا الاسم لم يلقب به أحد من الناس قبله . والاسم الثانى فى الخبر « مشيراً أو مشير الإله القدير » وهذا أيضاً وصف مميز لمحمد صلى الله عليه وسلم خاطبه الله به فى القرآن الكريم ، إذ قال تعالى « وشاورهم فى الأمر » كما وصف الذين آمنوا به « وأمرهم شورى بينهم » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا خلافة إلا بالمشورة » . فهل هناك ذكر فى الإنجيل بأن المسيح كان مشيراً أو أنه كان يستشير الناس فى الأمور ؟ . وذكر اسمه الثالث « أباً أبدياً » فهذه الصفة هى لمحمد عليه الصلاة والسلام لأنه بعث كخاتم للأنبياء والمرسلين وشريعته مستمرة إلى يوم الدين ويقول القرآن الكريم « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » وفى آية أخرى « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . » .

ويقول المسيح عليه السلام بنفسه مرشداً قومه « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد » .

وذكر اسمه الرابع « رئيس السلام » ولا يستحق هذا الوصف إلا من أرسل بدين الإسلام ، وأتباعه يدعون فى صلواتهم (وأدخلنا دار السلام) وهو النبى الذى علم الإنسان أن يحيى أخاه عند اللقاء بالسلام بقوله « السلام عليكم » ، والذى أعطى السلام لأعدائه وقال لهم « لا تثريب عليكم اليوم » والذى يبشر كتابه بالسلام « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » .

ثم قيل فى الخبر « لا نهاية لمملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد » وهذا الوصف لا يعود على المسيح أبداً لأنه لم يعط ملكاً أصلا ولكن محمداً عليه الصلاة والسلام أعطى ملكاً ووصل أصحابه إلى أطراف الدنيا فاتحين وحاكمين .

(٤) ويروى الإنجيل خبراً آخر عن أحد الحواريين بعد رفع المسيح إلى السماء اثر رؤيا فى المنام .

(رؤيا يوحنا اللاهوتى — الاصحاح التاسع عشر — الفقرات من ١١ — ١٦)

« ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو ، وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله ، والأجناد الذين فى السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزاً أبيض ونقياً ، ومن فمه يخرج سيف ماض لكى يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصاً من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شئ وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب » .

وإذا تأملنا فى تلك الشخصية التى رآها يوحنا فى منامه على ضوء العلامات التى ذكرناها فى الرؤيا لأدركنا أنها لا تشير إلا إلى محمد عليه الصلاة والسلام .

العلامة الأولى أنه رآه راكباً فرساً أبيض وجاء فى الاصحاح السادس من الرؤيا أنه راكب فرساً أبيض وبيده قوس وأعطى تاجاً وخرج فاتحاً ليفتح المزيد .

والعلامة الثانية أن بيده قوسا .

والعلامة الثالثة أنه خرج فاتحاً .

ولا تنطبق إحدى هذه العلامات على شخصية المسيح عليه السلام لأنه لم يذكر فى الإنجيل مطلقاً بأنه ركب فرساً أبيض أو رفع بيده القوس فى حياته أو فتح بلداً بل لم يقاتل فى حياته قط ، وبعكس ذلك كتب التاريخ والسير والأحاديث تثبت أن فرساً أبيض يدعى « بحر » كان مطية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان يحمل قوساً ليس فى الحرب فقط ، بل إنه كان يخطب على المنبر والقوس بيده . وجعل الرماية من واجبات المسلمين بقوله « عليكم بالرمى » وبقوله « ارموا فإن أباكم كان رامياً » — والمراد بالأب هنا هو إسماعيل

عليه السلام – كما ورد فى التكوين الاصحاح الحادى عشر الفقرة الحادية والعشرين : ومحمد عليه الصلاة والسلام خرج فاتحاً وغزا أصحابه البلاد ورفعوا أعلام الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها .

ثم قيل فى الرؤيا « يدعى أميناً وصادقاً » وهذه الصفة قد أقر بها الأعداء أيضاً للنبى صلى الله عليه وسلم وكانوا يدعونه بلقب الأمين حتى إذا دخل فى مجلس من لا يؤمنون به قالوا « جاء أميننا جاء أميننا » .

ثم قيل فى الرؤيا « وبالعدل يحكم ويحارب » فهذا الوصف أيضاً ينطبق على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فإن عدالته معترف بها لدى الجميع حتى لدى من كان أشد عداوة له من أهل مكة وقبيل بعثته حدث نزاع بين قبائل مكة فى أمر وضع الحجر الأسود عند بناء البيت وكادوا يقتتلون بالسيوف ولكن محمداً عليه الصلاة والسلام حكم بينهم بالعدل حتى رضى كل فريق منهم بحكمه وحقنت الدماء وساد الهدوء أجواء مكة بحكمته .

وبقى وصف « يحارب » فالمعروف أن المسيح عليه السلام لم يحارب قط أما سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فهو المحارب المجاهد الذى ندرس معاركه وحروبه إلى الآن . ثم قيل « وعيناه لهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة » وفيه إشارة إلى جلاله الفائق والذين وصفوه ذكروا أنه كانت فى عينيه حمرة ، والمراد (بالتيجان) بلوغ كمالاته أوج العظمة ، فقد كان جامعا للكمالات وكلل رأسه بتاج ختم النبوة وقيادة العرب والعجم كما كان عليه الصلاة والسلام قائداً حربياً عظيما وقاضيا منصفا ونبياً كريماً وقد وصفه القرآن الكريم « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » .

ثم قيل فى الرؤيا « وهو متسربل بثوب مغموس بدم » ، فقد انغمس ثوبه صلى الله عليه وسلم بالدم مرتين فى حياته ، مرة عند سفره إلى الطائف حيث قام أهل الطائف يرمونه بالأحجار ، والأخرى فى غزوة أحد حينما شج رأسه وانكسرت رباعيته فاحمر ثوبه الطاهر بالدم . ونقول هل لبس المسيح عليه السلام ثوباً مغموساً بالدم ؟ فإذا كان قد لبس فأين ومتى ؟

وإن قيل حدث هذا عندما صلب حسب عقيدة النصارى فهذا لا يصح أيضاً لأن اليهود قد خلعوا ثيابه وقت الصلب ، ولا يزال النصارى يرسمون ذلك المنظر حتى اليوم بحيث يظهرون عيسى عليه السلام عارياً من الرأس إلى القدم اللهم إلا عورته فقط ويعلقون هذه الصورة فى بيوتهم ومعابدهم .

ثم قيل فى الرؤيا « جنود السماء تكون معه » وقد تحققت هذه الرؤيا كعين الشمس فى غزوة بدر وغيرها من الغزوات حيث نزلت الملائكة لنصرته وجاء ذكر نزول الملائكة فى القرآن الكريم « والملائكة بعد ذلك ظهير » .

وقيل فى الرؤيا « ومن فمه يخرج سيف ماض لكى يضرب به الأمم ، وهو سيرعاهم بعصا من حديد » . فهل يوجد فى عيسى عليه السلام وصف من الأوصاف المذكورة ، أم هى متمثلة فى محمد عليه الصلاة والسلام الذى ساد الأمم بجهاده بالقرآن وما أتى على لسانه من الموعظة والحكمة التى تحق الحق وتزهق الباطل وقال تعالى « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » .

والوصف الأخير فى الرؤيا « اسمه ملك الملوك ورب الأرباب » وهو وصف أضفاه القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم بتلقيبه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وفى الحديث الشريف أنه أم جميع الأنبياء والمرسلين ليلة الإسراء فى المسجد الأقصى .

(٥) فى إنجيل يوحنا — الاصحاح السادس عشر — الفقرات من ٧ إلى ١٥ .

« لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ، ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة ، أما على خطية فإنهم لا يؤمنون بى ، وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولا ترونى أيضاً ، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين أن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم

بأمور آتية ، ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم ، كل ما للأب هو لى ، لهذا قلت إنه يأخذ مما لى ويخبركم » .

وهذا الخبر يفيد بأن اسم القادم هو « روح الحق » وكان فى الأصل « فارقليط » ولكنهم حرفوه عند الترجمة من العبرانية إلى اليونانية « كليوطاس » وكان يكتب بعد ذلك كليطاس وفى اللغة الأردية استعملت فارقليط بمعنى المعزى تارة وبمعنى روح الحق تارة أخرى ، وقد ثبت أن اسم فارقليط استعمل فى الأصل فى محل كلمة « أحمد » .

ولقد أعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرامة للمسيح وأنزله منزلته الحقيقية وجعل اليهود الذين كذبوه فى درجة المجرمين ، والإيمان بنبوة المسيح عليه السلام جزءاً من إيمان أهل الإسلام ، وبرأ أمه مريم من تهم اليهود وبرأ المسيح من إهانة قصة الصلب وأنزله منزلة الكرامة والتقديس ونفى عنه موقف العجز الذى نسب إليه كذباً عند صلبه المزعوم من أنه كان يصرخ ويصيح لكى يتخلص من الصلب .

وقيل فى الخبر « إنه لا يتكلم من نفسه » وقد ورد فى شأن محمد عليه الصلاة والسلام « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » صدق الله العظيم .

وقيل إنه « يخبركم بأمور آتية » ، وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن مغيبات كثيرة ووقوع أحداث هامة فى الدنيا إلى يوم القيامة ، كما أخبر عن علامات الساعة وأشراطها .

(٦) وورد فى إنجيل يوحنا — الاصحاح الأول — الفقرات من ١٩ إلى ٢١ ، « وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ، فاعترف ولم ينكر وأقر أنى لست أنا المسيح ، فسألوه إذاً ماذا إيليا أنت ، فقال لست أنا ، النبى أنت ، فأجاب لا » .

ويتضح من هذا الاقتباس أن الأنبياء المبشر بقدومهم ثلاثة :

١ — إيليا (إلياس) الذى كان اليهود يعتقدون بعودته مرة ثانية .

٢ — المسيح .

٣ ـ وذاك النبي الذى بشر به موسى عليه السلام .

وعندنا تعتبر عقيدة رجوع إيليا باطلة ولو فرضنا عودته لقال عنه عيسى عليه السلام إن يوحنا هو إيليا .

وبناء على هذا فلم يبق إلا اثنين ، المسيح وذاك النبي ، ومن الواضح أنهما شخصيتان منفردتان لأنه سئل يوحنا عن المسيح أولا فقال لست أنا المسيح ثم سئل أذاك النبي أنت ؟ فأجاب لا ، والمسيح قد جاء ، وبقى ذاك النبي القادم وقت سؤالهم يوحنا . فهل يخبرنا النصارى من هو ذاك النبي الذى أتى بعد المسيح ، أهو غير محمد عليه الصلاة والسلام ؟؟

(٧) وجاء خبر خر عن نبي آخر الزمان فى إنجيل مرقس الاصحاح الأول الفقرات السادسة والسابعة والثامنة « وكان يوحنا يلبس وبر الإبل ومنطقة من جلد على حقويه ويأكل جراداً وعسلا برياً ، وكان يكرز قائلا يأتى بعدى من هو أقوى منى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه ، أنا عمدتكم بالماء وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس » . فمن هو ذا الذى يعمد الناس بالروح القدس بعد يوحنا ؟ إن قيل هو المسيح فهذا غير صحيح لأن المسيح عليه السلام قال بنفسه « الحق أقول لكم ليس فيمن ولدتهم النساء أعظم من يوحنا المعمد » . ومعنى قول عيسى عليه السلام ليس فيمن ولدتهم النساء أعظم من يوحنا حتى هو نفسه لأنه أيضاً ولد من مريم إحدى النساء الطاهرات ولكن يوحنا يقول عن القادم « إننى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه » وهذا يدل على أن القادم لابد وأن يكون بعد المسيح وليس سوى محمد صلى الله عليه وسلم . والمعمد بالروح القدس لم يكن المسيح بل محمد عليه الصلاة والسلام لأن المسيح عليه السلام قال بنفسه عن الآتى كما ورد فى « أعمال الرسل » الاصحاح الأول الفقرتان الرابعة والخامسة « وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الأب الذى سمعتموه منى ، لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستعملون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير » .

(٨) وفى إنجيل متى — الاصحاح الثالث والعشرون — الفقرتان الثامنة والثلاثون والتاسعة والثلاثون ، جاء خبر عن مقدم النبي صلى الله عليه وسلم :

« هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا ، لأنى أقول لكم انكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب » . ويتبين من هذا القول الذى صدر على لسان المسيح عليه السلام أنه سيرفع إلى السماء ولن يرجع مرة ثانية حتى يأتى المبشر عنه باسم الله ويقول الناس انه مبارك (أى يؤمنوا به) وذلك هو النبي الأمى الذى جاء باسم الله وينزل المسيح عليه السلام بعد ظهوره وبعدما يؤمن به أهل الدنيا وهذا هو الآتى باسم الله والذى تحدث عنه عيسى عليه السلام .

(٩) « لا أتكلم أيضاً معكم كثيرا لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شئ » . جاء هذا الخبر فى إنجيل يوحنا — الاصحاح الرابع عشر — الفقرتان ٢٥ و ٢٦ « بهذا كلمتكم وأنا عندكم ، وأما المعزى بالروح القدس الذى سيرسله الأب (الله) باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم » .

فى هذا الخبر يقول المسيح بأن القادم سيرسل باسمى ، أى يأتى ليصدقنى ويبعد عنى تهم اليهود ومفترياتهم ، « ويعلمكم كل شئ » أى يتم دين الحق فى عهد رسالته . وقد ورد فى القرآن الكريم تصديق هذا القول حيث قال الله عز وجل « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » والمراد بقول المسيح بأنه « يذكركم بكل ما قلته لكم » أن الدنيا ستنسى ما قاله المسيح وتنسب إليه الحكايات والأقوال المختلقة الكاذبة ، والقادم يذكر الناس ويخبرهم من جديد بما قاله المسيح ويبينه للناس .

كما قال المسيح عليه السلام إن النبي القادم ، فى إنجيل متى — الاصحاح الرابع ، الفقرة السابعة عشر « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » .

وليس المقصود من هذا الباب الإحاطة بجميع ما جاء من الأخبار فى حق خاتم الأنبياء والمرسلين فى الأناجيل ، وإنما غرضنا هنا الإتيان ببعضها على سبيل المثال وتوضيحها بالإختصار . ومن يرد الإحاطة بجميع هذه

الأخبار فليرجع إلى الجزء الثالث من الكتاب المشهور « الجواب الصحيح » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

ونقول مع الأسف الشديد أن المسيحيين لم يستفيدوا شيئاً من جهود علماء الإسلام إزاء تحقيق هذه المسائل بل قاموا بتغيير وتحريف متن الأناجيل فزعا من الحقائق التي تثبتها تلك العبارات ضد معتقداتهم الواهية كما ذكرنا في الصفحات الماضية تحريف عشرة آلاف إلى مئات الآلاف ، فإن ذكر عشرة آلاف موجود في إنجيل « سكوفيلد ريفرنس » باللغة الإنجليزية طبعة ١٩١٧ م ولكن المترجمين إلى اللغة الأردية حرفوا هذا العدد ورفعوه إلى مئات الآلاف بعدما عرفوا أن العدد يطابق العدد الذي كان مع النبي يوم فتح مكة .

وقبل أن نختم هذا الباب يستحسن أن نذكر إنجيل برنابا وما سجل في صفحاته من الأخبار التي تتعلق بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ولا شك أن قصة إنجيل برنابا طويلة وغريبة لأن إنجيل برنابا هو أصح الأناجيل كلها ومؤلفه « برنابا » كان مصاحبا للمسيح مدة طويلة وشهد رفعه إلى السماء وكتب عن المسيح ما يتفق مع التعليمات القرآنية وكان هذا الإنجيل يقرأ ويدرس إلى أواسط القرن الخامس الميلادي وفي القرن الخامس حرم البطريق « جليمسيوس » قراءة هذا الإنجيل على المسيحيين وأمر بإعدام نسخه ، ثم عثر على نسخة من هذا الإنجيل في القرن السادس عشر الميلادي القسيس الكبير « فرامرينو » الذي وجده في مكتبة البطريق « سكتس » بطريق روما فظهر له بعد مطالعته . أن فيه أخباراً لا لبس فيها عن خاتم الأنبياء والمرسلين حتى انه ذكر اسمه « أحمد » ويصادق هذا ما جاء على لسان المسيح في القرآن الكريم « ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » وبعد أن عرف «فرامرينو» هذه الحقيقة أخرج هذا الإنجيل من مكتبة البابا وأعلن إسلامه ، ونقل هذا الإنجيل إلى اللغة العربية العلامة الشيخ رشيد رضا المصري وقام بطبعه ويعتبر حجة قاطعة على النصارى في إثبات أن محمداً عليه الصلاة والسلام هو نبي آخر الزمان المبشر به في التوراة والإنجيل.

الباب الثامن

عقيدة التثليث

عانى الذين اتبعوا المسيح عليه السلام مشاكل كثيرة ومصائب شديدة زمنا طويلا بعد رفع المسيح إلى السماء . واعتبر الانتماء إلى المسيحية مرادفا للجريمة ، وضاقت الأرض بما رحبت بالذين آمنوا به ، وصارت الغابات أكثر أمنا لهم عن المدن والقرى . ومن هنا ابتدأت الرهبانية عند المسيحيين ومع أن هذه الحادثة التاريخية كانت وليدة ضرورة وحلا لمشاكل زمنية ولكن هذا الاضطرار التاريخي أثر على نفسية المسيحيين بحيث تصلبوا فكريا ونفسيا وبدأوا يتصورون أن تعذيب النفس وتجنب الملذات الحلال والتخلص من الحياة الطبيعية بالتبتل وغيره أمرا ضروريا للتوصل إلى الله وبعد ما تقلبت الأحوال وصارت المسيحية مقبولة عند الناس تسربت جرثومة التصلب والغلو فى ادعاء محبة عيسى حتى دعوه ابن الله ؛

وإذا نظرنا إلى تطور العقائد المسيحية على مدار التاريخ يتضح لنا أن القرن الثالث الميلادى كان يموج بالخلاف بين الفرق المسيحية حول ذات المسيح حتى أقلقت هذه الخلافات قسطنطين الأعظم فطلب مندوبين عن الفرق المسيحية كلها وحاول جمعهم على العقائد التى قدمها بولس الرسول ، فيذكر صاحب تواريخ الكنيسة المسيحية تلك الخلافات والموافقات التى حدثت بعد ذلك ويقول ان الملك قسطنطين حينما خشى من زيادة الخلافات أرسل « هوسيس » أسقف مدينة كوردوا بأسبانيا والذى كان مستشارا دينيا للملك إلى الإسكندرية مع كتبه الخاصة الموجهة إلى الإسكندر وإيرس وكتب فيها أن الخلافات القائمة لا تتعدى أكثر من التكرار اللفظى ، وقال ان أسرار الله تفوق إدراك الإنسان وقدرته ، ولكن ظهرت

النتيجة عكسية وازداد الفساد فى البلد فرجع هوسيس إلى الملك وأحاطه علما بما حدث اثر وصوله إلى الإسكندرية[1] .

ولما كانت الحالة تقتضى حل أسباب الخلاف وتسوية قضية العصر ، طلب الملك عقد مجلس لجميع أساقفة الكنيسة فى مدينة « نائيسية » وذلك فى أواسط القرن الثالث (عام ٢٢٥ ميلادية) .

وقد سبق هذا المجلس عدة مجالس فرعية أخرى على المستويات الإقليمية أما الهدف من عقد هذا المجلس فهو اجتماع وكلاء عن جميع الكنائس لكى يظهروا شعار الأخوة الحقيقية ، والإيمان ، وقد اشترك فى المجلس حوالى الألف وخمسمائة مندوب وأكثر من ثلثمائة أسقف أغلبهم من الكنائس الشرقية وبسبب كثرة المشاكل والقضايا استمرت الاجتماعات تعقد مدة ثلاثة أشهر وألقى الملك بنفسه الخطبة الافتتاحية كما اشترك فى الاجتماعات والمناقشات كلها ولكنه فوض الأمر لرؤساء المجلس وكانوا ثلاث جماعات (فرق) هى التى تمثل ذلك المجلس .

(ا) « آرثوذوس » وكان عددهم فى المجلس حوالى ثلاثين شخصا ومن زعماء هذه الفرقة الإسكندر ، ماسيس ، هوسس ، وأثاناليسس المستشار الدينى للاسكندر .

(ب) «كونسرفيتو » وكان عددهم فى المجلس حوالى المائتين ، وزعيمهم هو أسقف القيصرية يوسى بيس ، ومع أن هذه الفرقة كانت مخالفة للعقائد الإيرينية ولكنهم كانوا يرون أنها لا تضر الكنيسة ولذا لا يعامل إيريس بالشدة .

(ج) « إيرين » ويتزعمها إيريس ،وكان يؤيدها الأسقف النيكوميدى يوسى بيس الثانى وبعض أساقفة الشرق الذين كانوا يوافقون إيريس .

وبعد المباحثات الطويلة قام ثمانية عشر من الإيرينيين بقيادة يوسى بيس وقدموا إلى المجلس العقيدة الإيرينية وطلبوا الموافقة عليها من المجلس ، ولكن

---

(١) تواريخ الكنيسة المسيحية ـــ ص ١٧٣/١٧٤/١٧٥

حدث حينذاك اختلاف شديد على هذا الطلب ومزقت المسودة المشتملة على العقيدة الإيرينية وتخلى جميع أصحاب إيريس عنه بعد هذه الحادثة وتركوا عقيدته التى رفضها المجلس .

ثم قام أسقف القيصرية « يوسى بيس الثانى » بتقديم العقيدة التى كانت رائجة فى كنيسته ، وطلب المجلس منه ، أن يزيد عليها ثلاثة أمور أخرى لتكون أدعى لإقرارها من المجلس وهى :

(ا) أن عيسى هو ابن الله البكر من جوهر الأب أى من جوهر الله .
(ب) أنه ليس بمصنوع بل هو مولود .
(ج) أن مادته ومادة الأب واحدة .

وتم الاعتراف بهذه العقيدة . وفى آخر الاجتماعات سجلت اللعنة على الذين يعتقدون أن المسيح قد حان عليه وقت لم يكن فيه شيئا فجاء إلى الوجود من العدم ، وأن مادة الابن والأب مختلفة ، وأنه مخلوق قابل للتغير ، وعند الاعتراف بهذه العقيـــدة وقع عليها جميع الأساقفة إلا اثنين ، فأجلى إيريس معهما إلى الرية وصدرت الأحكام بإحراق جميع مكاتبات إيريس وبذلك يلاحظ القراء الكرام مدى حدة الخلافات بين الفرق المسيحية وعقائدها ، وحسبنا أن نورد ما ذكرناه آنفا عن المسيحيين أنفسهم لإثبات أن عقيدة كون عيسى عليه السلام ابن الله ، والواحد فى ثلاثة والثلاثة فى واحد ليست من التصريحات السماوية بل هى من مبتدعات فئة من البشر أقرها المجلس ووثقها كعقيدة للمسيحيين بعد رفع عيسى عليه السلام بثلثمائة سنة .

واكتفى المبشر بذكر اجلاء وطرد الأسقف إيريس مع صاحبيه نتيجة لمخالفته هذه العقيدة ، ولكن الحقائق تثبت أن مخالفة هذه العقيدة الواهنة لم تقتصر على هؤلاء الرجال الثلاثة الذين نفوا من البلاد بل قامت بعد ذلك كثير من الفرق المسيحية بمخالفتها علنا ، وقد أورد أسماء هذه الفرق مع بيان عقائدها « البستانى » فى كتابه دائرة المعارف الجزء السادس ، ويؤيد بيان البستانى تاريخ الديانة المسيحية .

إن فرقة « أبوفسين » أعلنت صراحة أن المسيح ليس بابن الله بل هو بشر وليس له صلة بالألوهية .

وقال « سابلين » ان الأقانيم الثلاثة اشارات للتوحيد وليس مرجعها إلى الله .

ثم وقعت الخلافات الشديدة بين الفرق المسيحية فى مسألة الأب والابن والروح القدس .

وقال « أريوسين » لم يكن المسيح أزليا كالأب ولكنه خلق قبل هذا الكون وكان مخلوقا .

وقال « مقدونين » ان الأقانيم إثنان فقط والروح القدس ليس بأقنوم بل هو مخلوق .

وقد رفضت الكنيسة اليونانية الاعتراف بعقيدة أن الروح القدس لم ينفصل من الأب فقط بل وجد من الأب والابن معا .

وفى القرن الثالث عشر الميلادى ، بدأ كثير من الفرق المسيحية تعد عقيدة التثليث من الباطل كالعموميين والجرمانيين والموحدين والسوسينيائيين

وكان أصحاب فرقة « يونى ترين » يعتقدون أن الله هو الواحد ، بينما كانت بعض الفرق تؤمن بالتثليث ولكنهم كانوا يقولون ان الأقنوم الثالث هى مريم بدلا من الروح القدس .

ولعلكم أيها القراء الكرام تكونون قد تشوقتم لمعرفة التثليث وما هى عقيدة التثليث ؟ وكيف تتحد الأقانيم الثلاثة فى واحد ؟ وكيف يشرح النصارى هذا اللغز بلسانهم ؟ ونقول الحقيقة ان هذا السر لازال مبهما علينا وعلى علماء المسيحيين أيضا لأنهم يعتبرونه سرا من أسرار الله الذى يجب الإيمان به بدون كلام ولا مناقشة وجميع التعبيرات التى يقدمونها لهذا اللغز لا تحل[1] المشكلة ،

(١) وأنا اعتقد أن الغلاة من المسيحيين أخذوا فكرة التثليث من الهندوس لأن الهندوس سبقوهم بالتثليث فانهم يعدون براهما وكرشنا وفشنو الها واحدا مع الاعتراف بوجود الثلاثة كآلهة متفرقة .

وقد قام جماعة من علماء المسيحيين بتفسير هذه العقيدة فى كتاب « دعاء العميم » وجاء التفسير على النحو التالى :

« نحن نعبد إلها واحدا فى التثليث ونعبد التثليث فى التوحيد ، ولا نوحد الأقانيم ولا نقوم بتقسيم الماهية ، لأن الأب أقنوم والابن أقنوم والروح القدس أقنوم ، ولكن ألوهية الأب والابن والروح القدس واحدة لأن الجلال فى الثلاثة سواء والعظمة أزلية وسواء ، والابن مثل الأب والروح القدس غير مخلوق . الأب غير محدود والابن غير محدود والروح القدس غير محدود . وكذلك لا نقول فى الثلاثة غير محدود ولا غير مخلوق ونقول الواحد غير محدود ، وكذلك الأب قادر مطلق والابن قادر مطلق والروح القدس قادر مطلق ، ومع ذلك لا تكون الثلاثة قادرا مطلقا بل القادر المطلق هو الواحد . وكذلك نعتقد أن الأب إله والابن إله والروح القدس إله ومع ذلك لا تكون الثلاثة آلهة بل إله واحد لأنه كما يجب علينا فى العقيدة المسيحية أن نعتقد أن كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة الها لحاله كذلك لايجوز القول فى الدين الجامع إن الآلهة ثلاثة ، والأب غير مصنوع من أحد لا مخلوق ولا مولود ، والروح القدس من الأب والابن ولكنه غير مصنوع ولا مخلوق ولا مولود ، والنتيجة أن الأب واحد ولا ثلاثة آباء ، والابن واحد ولا ثلاثة أبناء ، والروح القدس واحد ولا ثلاثة ، وفى هذا التثليث لا يتقدم أحد عن غيره ولا يتأخر ، ولا أصغر ولا أكبر من الثانى ، بل الأقانيم الثلاثة مساوية من الأزل » .

هذا هو التفسير الذى قدموه لعقيدة التثليث الذى يعتبر سندا للنجاة لدى المسيحيين ولكن لا ندرى من يفهم هذه الألغاز ؟ ومن الغرائب أن بطريق الروم قام حاليا بمحاولة ضم مريم إلى سلك الأقانيم وتبديل التثليث بالتربيع ولكن لسوء حظه باءت محاولته بالفشل .

ومن المستحيل أن يعترف العقل السليم أن الثلاثة تكون بمثابة الواحد والواحد يكون بمثابة الثلاثة ، فالطفل يعلم أن الاثنين فى اثنين تكون أربعة وحتى لو فرضنا وجود كتابة على سطح السماء بأن الاثنين فى اثنين تساوى

خمسة فلن يصدقها لا النصارى ولا غيرهم من أمم العالم بل سيكذبون هذا المكتوب على السماء ولا يمكن أن يؤيد هذا المكتوب أى دليل منطقى . وكذلك إذا كان القمر مضيئا فى الليل ويأتى شخص ويقول ان ساعتى تشير الآن إلى وقت الظهر تماما ، فلا يمكن أن يصدقه أحد مهما كان هذا الشخص فصيحا وبليغا لأن ادعاءه مخالف للحقيقة والمشاهدة وفى العقيدة المذكورة حينما قيل ان الآلهة ثلاثة فى الحقيقة قيل بعد ذلك ان الرب والمسيح ، والروح القدس فى الحقيقة شئ واحد أيضا . وهذا يعنى كون الواحد فى الحقيقة ثلاثة وكون الثلاثة فى الحقيقة واحدا قول باطل ظاهر البطلان ولا يمكن الاعتقاد به لحظة واحدة ، ويمكن أن يدخل المسيحيون هذا القول فى أمور ما وراء المعقولات وما بعد الطبيعيات الخارجة عن نطاق مقدرة العقل والفهم ، فنقول إذن إن هذا الأمر ليس فيما وراء العقليات بل هو مخالف للعقل بديهيا ، وكيف نسلم بهذا القول الذى يخالف العقل صراحة مثل قول من يقول إن الدينار الواحد يساوى ثلاثة دنانير من نوعه والثلاثة تساوى دينارا واحدا مهما أصر المسيحيون على مثل هذا المنطق .

ومن أهم الأدلة التى يعرضها المبشرون المسيحيون لإثبات التثليث هى صورة المثلث △ التى يرسمونها أمام السذج من الناس ليغالطوهم فى القول بالنظر إلى شكل المثلث الذى يتكون من ثلاثة خطوط وكلها تمثل شيئا واحدا . وكذلك الثلاثة فى التثليث تكون ذاتا واحدة . ولو رتبنا نتيجة على هذه الأدلة الساذجة فمن ذا الذى يمنع من رسم مربع لإثبات التوحيد فى التربيع والتربيع فى التوحيد لأن مجموعة الخطوط الأربعة المتصلة كذلك تصير شيئا واحدا ؟ وكذلك القصر الذى يشتمل على مائة غرفة فلينظر إليه المبشرون المسيحيون ويدعون أن المائة تساوى واحدا والواحد يساوى مائة ، فهل يسلم العقل السليم بمثل هذه السفاهات ولو لبرهة واحدة ؟ وكذلك الجسم الإنسانى فهو يتركب من ثلاثة أشياء مهمة هى الجسد والروح والنفس ، فهل يمكن أن نطلق على الجسد وحده أنه إنسان أو أن الروح وحدها إنسان أو نقول ان مجرد النفس تكون إنسانا ؟

واله المسيحيين أيضا يتركب من ثلاثة الأب والابن والروح القدس وبالقول ان كل مركب يتركب من أجزاء ، فهل الإله يتركب من أجزاء ؟ وهل جزء من المركب يدعى إلها ؟ ثم أى مركب وجد ولا يكون حادثا ، ونعوذ بالله من هذا القول ، هل يكون الله حادثا ؟ بل ما نقول إلا « ما قدروا الله حق قدره » و« ليس كمثله شئ وهو السميع البصير » .

الباب التاسع

الأناجيل وعقيدة التثليث

إنه حسب علمنا لا يمكن إثبات عقيدة التثليث من خلال الأناجيل الموجودة لأن الأناجيل كلها تفيد بعبارات واضحة وضوح الشمس أن المسيح عليه السلام ما هو إلا مخلوق ، أما مغالطتها فى ألفاظ الأب والابن المستعملة فى الأناجيل فقد أوضحنا فى الأبواب السابقة أنها قد استعملت وقصد منها المعانى المجازية ولإثبات ذلك فإننا نستسمح القارئ لو كلفناه قليلا من العناء فى مطالعة بعض نصوص الأناجيل التى سنوردها .

١ — بدأ متى إنجيله بذكر نسب يسوع المسيح بن داود بن ابراهام وانتهى عند « تولد من يعقوب يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح » وهنا يأتى السؤال ، فكيف يكون إلها من يذكر نسبه وولادته ؟ ومن ولد كيف يقال انه غير مخلوق ؟ والكتاب الذى يقرر ولادة شخص ما ثم يطالب أن يقال له غير مخلوق لا يقبل قوله المتضاد إطلاقا حتى لو سمع نداء من السماء يؤيد هذا التضاد ولا يمكن أن نعتبره نداء ربانيا .

٢ — وفى إنجيل متى أيضا ، ان الملك قال لخطيب مريم « يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس » .

وكانت مريم حينذاك مخطوبة وليست بزوجة بعد ، وحملت بالمسيح بالقدرة ، تلك القدرة هى الروح القدس كما ورد فى الإنجيل ، فيثبت بذلك قدرة الروح القدس لا قدرة المسيح ، فيكون المسيح مقدورا فكيف نعترف به قادرا مطلقا .

٣ — يقول متى « ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود » . وظاهر أن هذا الكلام يخالف الحقيقة فالمسيح لم يكن ملكا لليهود ولكننا نترك هذا البحث ونلفت أنظار القراء إلى لفظ « ولد » ولفظ « المولود » فى عبارات الأناجيل فكيف يسمح لنا عقلنا وحواسنا أن نعتقد فى مولود أنه غير مولود بل معبود فى ذات الوقت .

٤ — ثم يقول متى ان الملك هيرودس كان يريد قتل المولود فقال ملاك الرب ليوسف « قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر » ، فإذا كان الإنجيل يدعى أن جلال هذا الصبى مساويا لجلال الله عز وجل فما الداعى إذن لتهريبه على يد من هو أقل منه رتبة ؟ وكيف يفر جلال الله هكذا بالخوف ؟؟

٥ — ويقول متى فى الاصحاح الرابع « ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ، ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها .

٦ — ثم ورد فى الاصحاح الخامس من إنجيل متى (طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون » . لاريب أن الذين يسعون فى هذا العصر لوقف خطر قيام حرب عالمية ثالثة هم صانعو سلام وحسب قول متى يدعون أبناء الله ، وأن الذى يدعيه المسيحيون عن عيسى من أنه ابن الله الوحيد يعلن بنفسه فى الاصحاح العاشر من إنجيل متى الفقرة الرابعة والثلاثين « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ما جئت لألقى سلاما بل سيفا » ووفقا لقول المسيح لا يكون ابن الله إلا من صنع السلام وقام بالصلح بين الناس ، فالذى لا يأتى للسلام لا يكون ابنا لله ، وإذا كان الإنجيل يطلق على مثل هذا الشخص ابن الله بهذا التصريح ، فيجب أن نقر أن الكلام الذى نسبه الإنجيل إلى المسيح عليه السلام باطل وكذب صارخ .

٧ — وكذلك ورد فى إنجيل متى الاصحاح الثالث والعشرون الفقرة الثامنة . حينما خاطب تلاميذه « وأما أنتم فلا تدعوا سيدى لأن معلمكم واحد

المسيح وأنتم جميعا اخوة ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح » .

ومن الواضح أن كلمات الأب والابن وردت هنا بمعانيها المجازية ويثبت أن الأب الروحانى هو الله الواحد فقط والمسيح ليس بالأب الروحانى بل هاد ومرشد ومعلم .

٨ — ونص فى الاصحاح الثانى من إنجيل مرقس الفقرتان ٤و٥ « وجاءوا إليه (المسيح) مقدمين مفلوجا يحمله أربعة ، فقال المسيح للمفلوج يابنى مغفورة لك خطاياك » . ومن الواضح أن ذلك المفلوج لم يكن ابنا حقيقيا للمسيح وإنما قال يابنى شفقة به ، وكذلك كلمة ابن الله التى وردت عن المسيح فى الأناجيل قصد بها أن الله شفيق على المسيح ومحب له .

٩ — وذكر مرقس فى الاصحاح العاشر من إنجيله « من بدء الخليقة ذكرا أو أنثى خلقهما الله ، من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا إذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد » . الفقرات ٦ و ٧ و ٨ وهنا نوجه سؤالا هو هل يعتبر جسدا الزوج والزوجة واحدا ؟ وهل الواحد يساوى اثنين ؟ وهل الاثنان يساويان واحدا ؟ الواقع أن مثل تلك العبارات كلها مجازية ولايصح أخذها بمعناها الحقيقى والكتاب الذى يستعمل مثل هذه المجازات والمحاورات كيف تقام دعوى على أساس كلمة من هذا القبيل خاصة فى جانب عقيدة دينية حتى يعتقد أن الرب والمسيح والروح القدس شئ واحد لا فرق بينهم .

١٠ — وذكر فى نفس الاصحاح من إنجيل مرقس الفقرات١٧و١٨و١٩ « وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية فقال له يسوع لماذا تدعونى صالحا ليس أحد صالحا إلاواحد وهو الله » . عندما يقول المسيح هذا الكلام هل نعتبره بعد ذلك مساويا لله فى الألوهية ؟ .

١١ — جاء فى الاصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس الفقرتان ٣١و٣٢ عن المسيح عليه السلام أنه قال « السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لايزول ،

وأما ذلك اليوم (أى يوم القيامة) وتلك الساعة (أى وقت قيام الساعة) فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن (أى المسيح) إلا الأب (أى لا يعلمها إلا الله فقط) .

ويتضح من هذه العبارة أن المسيح يعلن بصراحة أن الساعة لا يعلمها أحد من الخلق ولا الملائكة وحتى الذى يدعى ابن الله فلا يعلم بها إلا الله ، وبعد هذا البيان الصريح هل يبقى هناك مجال لأحد أن يقول ان المسيح والروح القدس يساويان الله فى العلم .

١٢ — وفى الاصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا الفقرة الثانية عشرة قال المسيح لتلاميذه « الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضا ويعمل أعظم منها » . ومع عدم التسليم بأن تلاميذ المسيح عليه السلام أو الحواريين يمكن أن يعملوا أحسن من أعمال المسيح ، ولكن النقطة التى تبرز من هذه العبارة أنه لو كان المسيح إلها لما قال هذا الكلام لتلاميذه لأنه لا يمكن لأحد من الخلق أن يأتى بأعمال تفوق أعمال الإله .

١٣ — ويقول المسيح فى الاصحاح العاشر من إنجيل يوحنا الفقرتان ٣٤و٣٥ «أليس مكتوبا فى ناموسكم أنا قلت انكم آلهة ، إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ولا يمكن أن ينقض المكتوب » وجه المسيح هذا الكلام ردا على ادعاءات اليهود ويفهم منها أن من جاءهم كلام الله قيل لهم آلهة ، وليس المقصود أنهم آلهة حقيقة وإنما قيل لهم ذلك مجازا ، والذى تؤكده هذه العبارة أن استعمال الأناجيل لفظ « الإله » فى وصف المسيح لم يقصد به سوى المعنى المجازى .

١٤ — فى الاصحاح الثامن من إنجيل يوحنا الفقرتان ٤١و٤٢ ، سجل هذا الحديث بين المسيح وبعض اليهود «فقالوا له إننا لم نولد من زنا ، لنا أب واحد وهو الله فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى » . ويتبين من العبارة أن أكابر اليهود ذكروا أولا أنهم لم يولدوا من زنا ثم ان أباهم واحد هو الله ، وقد انتقد المسيح بنفسه ادعاء اليهود بأنهم أبناء الله وذلك بقوله « لستم أبناء الله لأنكم لا تحبوننى » ومن هذا يتضح أن المقصود بابن الله هو من عمل

مثل أعمال الله ومن يحب المسيح فهو ابن الله أيضا أى بمعناه المجازى . وبعد هذا لو بقى أحد يشك فى قبول هذه الحقيقة أن ذكر كلمة ابن الله فى الأناجيل لا يقصد بها إلا المجاز نأتى بقول المسيح عليه السلام ، لزيادة الإيضاح .

١٥ — إنجيل يوحنا الاصحاح الثامن الفقرة ٣٩ « لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم » حين قال يسوع هذه العبارة قصد أن كل شخص يعمل أعمالا طيبة مثل أعمال إبراهيم يستحق أن يقال له ابن إبراهيم وليس من المحتم أن يكون هذا الشخص ابنا حقيقيا لإبراهيم وإنما ابن معنوى فقط ، ويتمشى كلام الأناجيل كله مع هذا الاصطلاح فمن يعمل صالحا يعد من أبناء الله ، ولذا كثر أبناء الله فى كل من العهد القديم والعهد الجديد ومن قام بأعمال مرموقة سمى ابن الله البكر تمشيا مع هذا الأسلوب .

وبهذا القدر من الحديث نكون قد أثبتنا بطلان ولغو عقيدة التثليث من الأناجيل ، فتعالوا الآن نثبت بطلان هذه العقيدة من التوراة « العهد القديم » .

لقد فصلنا فى الصفحات السابقة قول المسيح عليه السلام ان هذا الكتاب أى التوراة لا ينقض حرف منها أى لا ينسخ ، ولكننا نتحير عندما نرى اليهود الذين يدعون المحافظة على التوراة لم يجدوا أثرا أو رائحة لعقيدة التثليث فى ذلك الكتاب المصدق من المسيح ، بل يرون الاعتقاد بالتثليث كفرا صريحا . ولا يمكن لأحد من المسيحيين أن يدعى معرفة اللغة العبرية أكثر من اليهود وقد رفض اليهود دائما الاعتماد على تراجم التوراة التى قام بها المسيحيون ولم تزل هذه الشبهة باقية فى أذهان اليهود ولم يضيعها تأييد المسيحيين لهم فى قضية فلسطين ومؤازرتهم فى اعتدائهم على الأراضى العربية الاسلامية ، ولعل قليلا من الناس هم الذين يعلمون بحقيقة القيود المشددة التى فرضتها إسرائيل داخل الأراضى المحتلة على منع نشر تعليمات الأناجيل ، ولا يوجد فى العالم كله مثيل لتلك القيود باستثناء الدول الشيوعية ، واليهود يخالفون عقيدة التثليث بسبب التصريحات الكثيرة الواردة فى التوراة والتى

ذكرنا بعضها فى الأبواب السابقة وخاصة فى الباب الثالث « تعليمات المسيح » ونورد فيما يلى حوالة أخرى وردت فى « التثنية » الاصحاح السادس الفقرة الرابعة « اسمع يا اسرائيل الرب إلهنا إله واحد » ونص هذه العبارة كما وردت باللغة العبرية وبخط عربى واضح كما يلى « اسمع يا اسرائيل يهواه إلو نهو يهواه احاد » .

وقد ورد مفهوم هذه العبارة عن المسيح فى الفقرتين ٢٩و٣٠ من الاصحاح الثانى عشر بإنجيل مرقس كالآتى :

« اسمع يا اسرائيل الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك » .

وقد عبر فى الأناجيل العربية عن الله بالواحد وفى العبرية آحاد وفى التراجم الأردية إيك أى الواحد ، فكيف إذن يتحمل هذا اللفظ مفهوم التثليث .

الباب العاشر

التفسيرات المحرّفة

أوضحنا فيما سبق بالاقتباسات العديدة التى أوزدناها أن المسيح ليس بإله وأنه ابن لمريم ومن جنس آدم ، وكذلك فهو ليس بجزء من الله إنما هو مخلوق اختاره الله لرسالته . وقد قدم علماء النصارى تأويلات بعيدة ومبهمة لهذه الأقوال بعد أن عجزوا عن تقديم الاجابات الصحيحة لهذه الأدلة القاطعة وأتوا بدلا من ذلك بتفسيرات ضعيفة قابلة للمط يمينا وشمالا ليخرجوا من ذلك إلى المعانى التى يبغونها . ولا أريد أن أضيع على القارئين أوقاتهم الثمينة بذكر هذه الاقتباسات والتأويلات وإنما أكتفى هنا بذكر مثال واحد منها :

بدأ الاصحاح الأول من انجيل يوحنا بفقراته الأولى والثانية والثالثة بالعبارات التالية « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان فى البدء عند الله كل شىء به كان » .

ويقول علماء التثليث الكرام هنا ان المراد بالكلمة هى ذات المسيح وهو الله ، وإذا سألهم سائل من أى إلهام ربانى أخذتم هذا المفهوم ؟ سيقولون إجابة على ذلك « لا يجوز التدخل فى أسرار الله لاننا لا نستطيع ادراك أسرار الايمان » . (التعليم المسيحى صفحة ٢٠) .

ولكننا نقول لهم إذا كان المراد بالكلمة هو الله فيكون معنى العبارة كالتالى « فى البدء كان كلمته » أى فى البدء كان الله ، « والكلمة كان عند الله » أى كان الله عند الله ، « وكان الكلمة الله » أى كان الله هو الله ، « هذا كان فى البدء عند الله » أى كان الله فى البدء ، عند الله .

وان كان المسيحيون لا يوافقون فهمنا هذا ، فلنتمش نحن معهم فى فهمهم وأسلوبهم قليلا ، فعندهم « أن فى البدء كان المسيح » ثم نسألهم كيف

تثبتون التثليث من هذا المعنى ؟ لأن هذه العبارة لا تثبت سوى إلهين فقط أى الرب والمسيح فأين يذهب الثالث أى الروح القدس .

نحن نسمع عن التثليث حتى اليوم ولكن التثنية هذه غريبة وجديدة ليت الفضلاء المسيحين يركزون فى أذهانهم الفرق بين علم الله وعلم الانسان ، لأن الانسان يستنبط علمه من الجزئيات ويستدركه عن طريق الاستقراء ، وتعريف الاستقراء فى اصطلاح المناطقة كالآتى « الاستقراء هو تصفح أمور جزئية لاثبات حكمها لأمر كلى » ولا يمكن للانسان من حيث هو انسان الاستقراء الكامل ولهذا السبب لا يكون حكم من أحكامه قطعيا وحتميا ، لأن حكم الانسان لا يخلو من النقائص والتضاد ، وذات الله عز وجل منزهة عن كل عيب ونقص وهو لا يحتاج إلى الاستقراء فى أمر من الأمور ، وبناء على هذا لا يتصور التضاد فى علمه أبدا .

فلابد إذن من واحد من اثنين ، اما تعترفون أنه لايمكن اثبات التثليث من الأناجيل واما أن تقولوا بامكان وجود الخلل والتضاد فى علم الله وكلامه ، ولا تحاولوا قلب العبارات المستقيمة فى قوالب افلاطونية وسقراطية وبقراطية .

وإليكم الآن تفصيل الوظائف التى يفوضها المسيحيون إلى الآلهة الثلاثة :

(أ) الأب ووظيفته خلق العالم والمحافظة عليه .

(ب) الابن ينجى الناس ويكون كفارة لذنوبهم .

(ج) الروح القدس تمهد قلب الإنسان وتثبته عليه .

وبعد النظر إلى هذا التقسيم يتوارد على القلب والذهن أسئلة لا حصر لها هى مثلا هل يعجز الأب (الله) عن أداء وظيفة الروح القدس ؟ والذى خلق كل شى ألا يستطيع زرع الايمان ؟ هل الروح القدس مخلوق أم لا ؟ إذا لم يكن مخلوقا فمن أين جاء ؟ وان كان المسيح هو الله فكيف يكون مختلفا عن الله وكيف نعدهما اثنين ؟ وهل يملك الابن النجاة أو هو وسيلة من وسائل النجاة ؟ وهل هو منقذ للذين خلقوا من قبله أم لا ؟ وإذا كان أهلا للنجاة بعد ما جعل نفسه كفارة فكيف يكون سببا لنجاة الأولين ؟ وهل هذا يتلاءم مع العدالة الإلهية أن يذنب الناس ويعاقب المسيح ؟ ولن يستطيع

أحد أن يعد المذنبين وذنوبهم من لدن آدم إلى يومنا هذا فكيف يتصور أن يتأذى المسيح عدة ثوان ويكون كفارة للمذنبين أجمعين؟ وهل هذه الكفارة تنحصر فى الذنوب الماضية للمسيحيين أو تتعلق بالماضى والمستقبل معا ؟... ان كان كفارة للذنوب الماضية فقط فلم يكن هناك داع لصلب ابن الله بسبب تلك الذنوب فنى كل الشرائع سعة للتوبة وغفران الذنوب الماضية ، وان كان كفارة لذنوب المستقبل أيضا فهذا شىء عجيب لأنه لا تبقى بعد ذلك حاجة إلى الامتثال بشريعة المسيح .

وقد ذكر فى التكوين — الاصحاح الثالث — الفقرات من ١٦ إلى ١٩ ، بشأن الخطأ الذى وقع من آدم وحواء « وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولادا وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك ، وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا لا تأكل منها ، ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزا » .

ويؤخذ من هذه العبارة أن المرأة تعاقب بأتعاب الحبل والرجل يعاقب بالتعب والمشقة فى اكتساب الرزق بسبب الذنب الأول ، ولكن لماذا يستمر هذا العقاب إلى يومنا هذا بعد أن كان المسيح كفارة للذنوب ؟ وهل يستثنى من هذا العقاب النساء المسيحيات وهل ينزل المن والسلوى على الرجال الذين آمنوا بالمسيح ؟

وإذا أمكن أن تلحق ألوهية الله بعبودية المسيح فما هو المانع من أن تلحق عبودية المسيح بألوهية الله ؟ الجسم محدود والألوهية غير محدودة وإذا كنتم قد جعلتم الألوهية مجسمة فهل صارت محدودة أم بقيت غير محدودة ؟

والبطن الذى كان به المسيح أكانت فيه الألوهية والروح القدس أيضا ؟ ولما صار المسيح ابنا فلم لا يقال ان الرب كذلك صار ابنا والروح القدس صار ابنا أيضا .

وإذا لم يكن الله مع المسيح فى بطن مريم — والعياذ بالله — فما معنى قول

المسيحيين أن الله صار مجسما فى صورة المسيح . ولما صار المسيح كفارة فكيف نجا الرب لأنهما شيء واحد ، وكان المسيح يعبد الله ولو كان إلها مجسماً فمن كان يعبد إذن ؟

ولو سلمنا بالتثليث وآمنا بتقسيم الوظائف للأرباب الثلاثة لمسكت بتلابيبنا أسئلة لا حصر لها ولا عد ، ولو ألححنا فى طلب الاجابة عليها من المسيحيين لولوا منها فرارا وما استطاعوا إلا أن يقولوا « فى الرب ثلاثة أشخاص الأب والابن والروح القدس والله أول هذا الثالوث المبارك وهو بداية للابن والروح القدس ، وكلهم متساوون لا فرق بينهم ولذا فإنهم يستحقون التعظيم الالهى على حد سواء ، ويسوع المسيح رب صادق وانسان صادق وكذلك مريم العذراء صارت أما حقيقية لله والعياذ بالله ويوجد فى الصحف المقدسة أن القدرة لله والحكمة للابن والتقديس للروح القدس » .

ونورد فى هذا الباب تصريحا لأحد العلماء المسيحيين هو «ريوريندشارلس» الذى أخذت عنه دائرة المعارف البريطانية فى طبعتها الرابعة عشر مقالا طويلا تحت عنوان « جيسس كرائست » فيقول « فى الأناجيل الثلاثة الأولى لمتى ومرقس ولوقا لا يوجد أى شيء يثبت أن هؤلاء كانوا يعتقدون فى المسيح أكثر من أنه بشر فهو فى نظرهم كان انسانا فضله الله بأن نفخ فيه من روحه لذلك فصلته بالله لا تنقطع ولا حرج إذا دعى ابن الله بسبب هذه الصلة » ومتى بنفسه يذكره كابن للنجار وورد فى انجيله أن بطرس كان ينتهره (لما أراد المسيح أن يذهب إلى أورشليم ويترك تلاميذه فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره) .

وفى انجيل لوقا الاصحاح الرابع والعشرون الفقرة التاسعة عشر « أن اثنين من تلاميذ المسيح ذهبا إلى عمواس بعد صلبه ، وفى الرد على سائل أجابا بقولهما « ان هذه الأمور مختصة بيسوع الناصرى الذى كان انسانا نبيا مقتدرا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب » .

ومما يجدر الالتفات إليه أنه على الرغم من رواج اطلاق لفظ الرب على المسيح قبل أن يكتب مرقس انجيله ، فإن انجيل مرقس لا يذكر المسيح

بهذا الوصف فى أى موضع منه وكذلك انجيل متى وعلى عكسهما يوحنا ولوقا اللذان أكثرا من استعمال هذا اللفظ . وتذكر الأناجيل الثلاثة غير مرقس قصة ابتلاء المسيح بشدة وتهويل بالغ يتناسب مع جلال الواقعة ولكن باستثناء عبارة مرقس التى تتعلق بالفدية فى الاصحاح العاشر الفقرة الخامسة والأربعون وبعض عبارات فى الاصحاح الأخير ، فاننا لا نجد فى الأناجيل الأخرى أثرا للمعانى المنتحلة لهذه القصة على مرور الأيام . كما لا نجد كذلك اشارة إلى أن موت المسيح له علاقة بذنوب الانسان وكفارته .

ويتبين من عدة عبارات فى الانجيل أن المسيح كان يقدم نفسه كنبي كما ورد فى انجيل لوقا الاصحاح الثالث عشر الفقرة الثالثة والثلاثون « بل ينبغى أن أسير اليوم وغدا وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارجا عن أورشليم » وكان يذكر نفسه بابن آدم ولم يقل عن نفسه أبدا انه ابن الله وان ذكره أحد معاصريه بهذا اللفظ فلا يكون قصده من ذلك إلا أنه مقرب إلى الله ، والمسيح لم يذكر إلا لفظ الابن المطلق أى بدون اضافة إلى الله وهكذا استعمل لفظ الأب بمعناه المطلق أى بدون اضافتها إلى نفسه وذلك لاظهار تعلقه بالله تعالى ، ولم يكن يحب نفسه منفردا بهذا التعلق بل كان فى البداية يعد الآخرين من الناس أصحابه كذلك ، ولكن التجربة الأخيرة ومطالعته العميقة للطبائع الانسانية أجبرته على الفهم بأنه وحيد فى هذا التعلق . وقول بطرس عن المسيح بمناسبة عيد « البنتوكست » انه كان انسانا مرسلا من الله » يعرض المسيح فى الصورة التى كان يعتقدها المعاصرون له .

ويتبين لنا من الأناجيل أن المسيح عاش فى صباه وإلى شبابه عيشة طبيعية ومر بجميع مراحل الحياة الطبيعية فكان يعطش ويجوع ، ويتعب وينام ، يعف ويحتاج ، وتحمل الأذى ومات (حسب قول الأناجيل) . وهو لم يدع أبدا كونه سميعا أو بصيرا بل نفى هذه الصفات عن نفسه بشدة ، وإذا قال أحد عنه ذلك يكون مخالفا للتصور الذى نفهمه من الأناجيل ولا يتلاءم هذا القول مع قصة الابتلاء والتأذى بل يلزم من هذا بطلان هذه الواقعات .

ولا بد من الاعتراف أن المسيح كان متقيدا بدائرة حدود العلم الانسانى عندما مر بتلك الحالات ولم يخرج عن هذه الدائرة إلا بقدر ما منحه الله من فيض النبوة ودرجات الشهود .

ولا نجد كذلك سعة فى الاعتقاد بكون المسيح قادرا مطلقا فى ضوء عبارات الانجيل لأنه لا توجد أية اشارة فى انجيل من الأناجيل أنه كان يستغنى بنفسه عن الله فى أمر من الأمور ، بل على العكس من ذلك فهو يعلن اعتماده وتوكله على الله فى الأمور كلها بكلمات دعائية متكررة .

ومن الواقع أن الأناجيل لم تدون إلا بعد ما بدأت الكنيسة المسيحية باعتقاد ألوهية المسيح ومع ذلك يوجد فيها ما يشهد ببشرية المسيح من ناحية ومن ناحية أخرى لا يوجد ما يثبت أن المسيح كان يزعم أنه إله . وكان القسيس (بال) هو الذى أعلن أن المسيح قد نال رتبة بنوة الله مع القدرة الكاملة بسبب رفعه إلى السماء ، ويقصد بال من لفظ الابن المعنى الحقيقى لأنه وضح معنى ذلك فى موضع آخر حين نسب المسيح إلى الله كابنه الحقيقى ولا يمكن الحكم فى هذا الأمر ، هل كان المسيحيون القدماء هم الذين قالوا ان المسيح ابن الله حقيقة أم كان (بال) هو أول من قال بهذا القول ؟ وربما يكون هذا من فعل الأولين ولكن الذى لاشك فيه هو أن بال هو الذى قلب معنى هذا اللقب إلى المعنى الحقيقى وتكلم بهذا صراحة ثم وضح ادعاءه بتحويل كثير من الكلمات الاصطلاحية الخاصة لله عز وجل فى الكتب المقدسة إلى المسيح ، وبجانب ذلك جعل المسيح فى العلم والعظمة مساويا لله عز وجل ، كما جعله ابنا مطلقا لله عز وجل . ومع أن بال نفسه هو الذى قال بهذه المساواة للمسيح مع الله فى صفاته ، فإنه احترز من القول بأنه الاله صراحة .

ويقول كاتب مسيحى آخر هو (ريورند جورج وليم نوكس) كما ورد فى دائرة المعارف البريطانية تحت عنوان « المسيحية » أثناء بحثه حول العقائد الأساسية للكنيسة المسيحية :

« فيذكر أن القالب الفكرى لعقيدة التثليث هو يونانى الأصل وصيغته

فيه تعليمات يهودية فهى من ناحية التركيب مركب عجيب للمسيحيين لأن التصورات الدينية فيها مأخوذة من الكتاب المقدس ولكنها مغموسة فى فلسفات أجنبية واصطلاحات الأب والابن والروح القدس تسربت من اليهود والاصطلاح الأخير لم يستعمله المسيح إلا نادرا وقال به بال ولكن كان مفهومه غير واضح وإنما كان استعماله فى الكتب اليهودية كشخصية مهمة ويثبت من هذا أن مواد هذه العقيدة يهودية وقد انضم هذا الاصطلاح إلى هذا المركب بعد تأثره بالفلسفة اليونانية وأصل السؤال الذى بنيت عليه هذه العقيدة لم يكن سؤالا أخلاقيا أو دينيا بل كان فلسفيا محضا وصورته كالآتى ما هى حقيقة العلاقة بين الأقانيم الثلاثة (الأب والابن والروح والقدس) والجواب الذى صدر من جانب الكنيسة مسجل فى العقيدة التى أقرها مجلس نيقيا ، ويتبين من النظر فى تلك العقيدة أنها مع جميع أوصافها وخصوصياتها ليست إلا نموذجا للفكر اليونانى » .

ونستحسن أن نقتطف مقالا ثالثا من دائرة المعارف البريطانية أيضا جاء تحت عنوان (تاريخ الكنائس) وورد فيه :

« وقبل نهاية القرن الثالث اعتقد عامة الناس أن المسيح مظهر جسدى لكلام الله وكان أغلبية المسيحيين ممن لا يعتقدون فى ألوهية المسيح . وزخر القرن الرابع بالمباحثات والخلافات الشديدة التى زلزلت قواعد الكنيسة ، وفى آخر الأمر أقر مجلس نيقيا ألوهية المسيح وجعلها عقيدة رسمية للمسيحيين وصيغت هذه العقيدة فى عبارات مخصوصة . ولو أن النزاع قد بقى بعد ذلك المجلس فترة ما فإن النصر كان حليف قرار مجلس نيقيا الذى قبلته الكنيستان الشرقية والغربية ، بحيث لا يعتبر المسيحى الحقيقى إلا من سار على هذه العقيدة .

وكان المجلس المذكور قد أقر بألوهية الروح القدس والحاقه بالأب والابن وبذلك أخذت العقيدة المسيحية تصورها الجديد القائم على القول بالتثليث وصار التثليث هو الأساس للديانة المسيحية . ثم قام النزاع على أساس أن الألوهية تجسمت فى ذات المسيح وطال البحث والمناظرة على هذا

الموضوع فى القرن الرابع وبعد القرن الرابع إلى مدة طويلة وكان موضوع البحث هو العلاقة بين ألوهية المسيح وانسانيته ، فقام مجلس (كاليدن) بتصفية هذا النزاع فى عام ٤٥١ ميلادية بحيث أقر المجلس باجتماع ضيعتين كاملتين فى ذات المسيح ، احداهما الطبيعة الإلهية وثانيهما الطبيعة الانسانية ومع اتصالهما فى ذات واحدة فإن كل واحدة منهما تستقل بخصوصياتها المنفردة بدون أى تغير أو تبدل وأضاف مجلس قسطنطينة الذى عقد عام ٦٨٠ ميلادية فى شرح هذه القضية ، أن كل واحدة من الطبيعتين تملك مشيئتها المستقلة أيضا أى يعتقد بأن المسيح يكون حاملا للمشيئتين فى وقت واحد . وفى نفس الوقت أثارت الكنيسة الغربية خلافا حول مسألة الذنب والتعميد ودار الخلاف مدة طويلة حول وظيفة الله فى مسألة النجاة وحول وظيفة العبد ، حتى انعقد مجلس (أورينج) سنة ٥٢٩ ميلادية وتم الاتفاق على العقيدة التالية :

أنه بسبب هبوط آدم ابتلى كل انسان بحيث لا يستطيع التقدم إلى باب النجاة خطوة حتى يحصل على حياة جديدة بواسطة التعميد فى الماء المقدس والأصباغ ، وبعد البدء فى الحياة الجديدة أيضا لا يستطيع الاستمرار فى طريق الخير حتى يكون ذلك التعميد الربانى فى عونه على الدوام ولا يمكن الحصول على ذلك العون بالدوام إلا بواسطة الكنيسة الكاثوليكية » .

ويثبت من هذه البيانات التى صدرت عن علماء المسيحيين أن الأمر الذى أضل المسيحيين فى بداية الأمر هو الغلو فى محبة المسيح وبناء على هذا الغلو جعلوا المسيح ابنا لله ثم إلها ونسبوا إليه الصفات الربانية ثم اخترعوا عقيدة الكفارة مع أن تعاليم المسيح كانت مخالفة لمثل تلك العقائد على الاطلاق وكان من الواجب أن يعودوا إلى ما قاله المسيح ويسلكوا طريقا صحيحا ولكن وقوفهم على الفلسفة اليونانية زاد الطين بلة ، فقاموا بتأويل أخطاء الأولين بدلا من التوبة من الذنوب الماضية ومضوا فى ابتكار عقيدة بعد عقيدة بواسطة المنطق والفلسفة فضلوا وأضلوا .

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

كلمة الختام

بعد النظر إلى ما عرضناه فى الأبواب الماضية بكل حياد عن الخطوط التى كشفت النقاب عن الوجه الأصلى للمسيحية وعقائدها ، فإن كل قارئ حر منصف لابد وأن يتفق معنا على أن أى دين بهذه الصورة لا يمكن أن يقبله أى انسان عاقل والذين يسعون فى تبليغ هـــذه الديانة لا يخدمون الانسانية ، ولا يقومون بعمل مملوح بل يخربون أذهان الناس ويملأون قلوبهم بالوساوس والضلال . ومن نظر إلى مساعيهم فى الدعوة والتبليغ بعين الاعتبار لأدرك أن مساعيهم مخالفة لما جاء فى الكتاب المقدس ، فإن العهد القديم والعهد الجديد من الكتب المقدسة لا يذكران اسم الله إلا كرب أو إله لبنى اسرائيل ، وموسى وعيسى إلا كنبيين لبنى اسرائيل ولم يدع التوراة والانجيل إلى الاهتمام بنشر هذه المذاهب على المستوى العالمى ، ونورد لاثبات ذلك بعض عبارات العهد القديم والجديد ، فى الاصحاح الخامس والعشرين من صموئل الأول الفقرة الثانية والثلاثون « فقال داود لأبيجايل مبارك الرب إله اسرائيل الذى أرسلك هذا اليوم لاستقبالى » .

وفى الملوك الأول الاصحاح الأول فى الفقرة الثامنة والأربعين « مبارك الرب إله اسرائيل الذى أعطانى اليوم من يجلس على الكرسى وعيناى تبصران » .

وفى أخبار الأيام الثانى الاصحاح السادس الفقرة الرابعة « وقال مبارك الرب إله إسرائيل الذى كلم بفمه داود أبى وأكمل بيديه » .

وفى الزبور الاصحاح الثانى والسبعون الفقرة الثامنة عشر « مبارك الرب الله إله اسرائيل الصانع العجائب وحده » .

وقد أرسل المسيح تلاميذه الاثنى عشر إلى اثنا عشر من العشائر اليهودية

للدعوة والتبليغ وقال لهم كما ورد فى انجيل متى الاصحاح العاشر ، الفقرات السادسة والسابعة والثامنة « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت اسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين انه قد اقترب ملكوت السموات » .

وكان المسيح نفسه يقصر دعوته على بنى اسرائيل ولم يكن يلتفت إلى غير الاسرائيليين بل كان يزجرهم .

كما ورد فى انجيل متى الاصحاح الخامس عشر ، الفقرات من ٢١ إلى ٢٦ « ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحى صور وصيدا ، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمنى يا سيد يا ابن داود ابنتى مجنونة جدا ، فلم يجبها المسيح بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة ، فأتت وسجدت له قائلة يا سيد أعنى فأجاب وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » .

وقد ثبت من هذه العبارات أن اليهودية والنصرانية دينان محدودان بزمان ومكان ولا يجوز تبليغهما للشعوب الأخرى . وإقامة المنظمات التبشيرية مخالفة صريحة للتعليمات المسيحية ، ولكننا نجد المسيحيين مترددين بين المدن والقرى فى سبيل هذه الدعوة يتناسون مقتضيات العدل والاحترام للآخرين مع أن شريعتهم لا تسمح لهم بالخروج إلى أى شعب من الشعوب العالمية للدعوة إلى المسيحية .

وعندما نلاحظ الحالات المذهبية العالمية نجد أن المسيحية قد فشلت جميع محاولاتها فى كافة ميادين العالم والآن نشاهد نشاطا وافرا من المنظمات التبشيرية المسيحية من أمريكا وبريطانيا وايطاليا وغيرها فى داخل باكستان ويمكن أن يعود سبب هذا النشاط الواسع إلى فشلها فى بلاد أخرى ، وهكذا المحروم والبائس إذا وجد أمامه فرصة يتصورها غنيمة ويركز جهوده عليها .

ومن الذى لا يعرف أن روسيا كانت قبل سنة ١٩١٧ ميلادية مركزا

ممتازا للمسيحية ، وقد انقلبت تلك الأرض المسيحية الآن وأصبحت أرضا للاشتراكية المادية وفشلت المسيحية فى تلك الأرض الواسعة وأوصدت الأبواب فى وجهها فى كل من روسيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا ورومانيا وبلغاريا والمجر وغيرها . والصين التى كانت فى يوم من الأيام عشا للمسيحية صارت اليوم مدفنا لها ، ولا تفكر أى من المنظمات التبشيرية فى تلك البقاع التى كانت فى الماضى أرضا خصبة للمسيحية .

ولا يسمح فى الهند لأحد المبشرين أن يقوم بتبليغ الهندوس وقد كان فى (جوا) معبد قديم للمسيحيين ، ولكن نسيه المسيحيون الآن وذلك للمحافظة على أموالهم وخوفا وحرصا على الدنيا ، وكيف يمكن لهم القيام بالدعوة المسيحية فى جزر جوا ودمن وديز والحالة هكذا .

وأعلنت بورما أن الدين الرسمى فى الدولة هو البوذية وقبل هذا الاعلان بذل المبشرون المسيحيون جهودا جبارة لجعل بورما مستعمرة للمسيحية ولكن جهودهم ذهبت سدى ، وباستقلال الدول الافريقية بدأت تخمد أنوار شموع المسيحية فيها وبدأ السود من أهل البلاد يكرهون المبشرين البيض كراهية شديدة وحينما كانت السلطة فى أيدى البيض كانت الكنائس معمورة وكان المبشرون يجلسون على الأرائك ولكن بذهاب نفوذهم تضاءل المذهب الذى انتشر تحت ظلال الحكم المسيحى . ويعترف الأمين العام لجمعية الكنائس بكل حسرة أنهم لم يستطيعوا ضم فرد مسلم عربى واحد إلى نعاج المسيح ورجعوا بخفى حنين على الرغم من انفاق الملايين من الدولارات وانتشار المنظمات التبشيرية بشكل ملحوظ من أورشليم إلى سواحل أفريقيا ، فكان من الواجب أن تهزهم هذه الحقيقة المؤلمة فيقروا بخيبة أملهم ويغيروا طريقتهم وينسحبوا من هذا الميدان الذى لا طائل لمجهوداتهم فيه ، ولكنهم لم يعتبروا ولا يزالون يباشرون مهمتهم المحكوم عليها بالفشل .

كوثر نيازى


044
69
Bibliotheca Alexandrina
0246504